أنا
وهي.. ورمضان

د. أحمد عيسى

الفقيرة إلى الله تعالى
إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس في الشريعة
بريطانيا.. برمنجهام

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسـم الكتـــاب: أنا وهي ..ورمضان
التــأليـــــــف: د.أحمد عيسى وإيمان مغازي الشرقاوي
موضـع الكتـــاب:
عــدد الصفحـات : 168
عــدد المــــلازم : 10.5
مقاس الكتـــاب : 14 × 20
عــدد الطبعـات : الطبعة الأولي
الإيداع القانوني :
الترقيم الدولــي :
الصـف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيـع والنشـر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر ـ طنطا
info@Daralbasher.com
Alnahdah@Daralbasher.com
dar_elbasheer@yahoo.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01062836461- 01067467492

1434 هـ
2013 م

الإهداء

قــال رســول الله ﷺ: «**إذا مــات الإنــسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثـةٍ: إلا مـن صـدقةٍ جاريةٍ. أو علمٍ ينتفعُ به أو ولدٍ صـالحٍ يـدعو له**» (رواه مسلم).

فنهـدي هـذ الكتيـب لوالـدينا رحمهـم الله باعتبارنا من كسبهم آملين أن يتقبله الله كعلـم ينتفع به.

إلىٰ أمي سعاد عبد الفتاح الـشعيتي، وإلـىٰ أبي الحاج إبراهيم محمد عيسىٰ .

وإلىٰ أبي مغازي عبدالله الـشرقاوي وأمـي عصمت علىٰ جاد .

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

نقدم بين يدي القارئ كتابنا المشترك وهو كتاب دعوة نظن أنه ألف بأسلوب فريد جديد يستخدم المشاعر الخاصة والتجربة الحياتية والتآلف الزوجي كأداة رمضانية للصحوة وترك الغفلة.

نود للقارئ أن يعيش بوجدانه ويسمح لذاته بالغوص في بحر كلمات الكتاب عسىٰ أن يفوز بدرره الكامنة يكتسب بها مقامات الإحسان في رمضان.

ونود له أن يحلق في آفاق الصفحات متجردا عن مشاغل الحياة، في ساعة من نهار رمضان الطويل، ليكتب له أجر الطائر الانساني الرمضاني الذي يطير بجناحي تكامل العلم والعمل والصبر والشكر.

ولا ينس أن يتفاعل معنا في المشاعر الرمضانية حيث نتقلب معه جوعا فنحض علىٰ طعام المسكين، أو عطشا لماء الحياة وهداية الناس، أو قربا من الخلق مودة ورحمة ومن الخالق خضوعا وسجودا.

حاولنا الكتابة بوجدان القلم وأردنا أن يكون الكتيب سهلا وبسيطا ونافعا، ندعو الله أن يحقق لنا ذلك، ويقبله خالصا لوجهه الكريم.

ومـن مراجعنـا الرئيـسية كتـاب ابـن القـيم رحمـه الله (**مـدارج السلكين**) خاصة في بابي المقامات والطائر الرمضاني، ووضـعت استشهاداته بين قوسين.

ونود أن نشكر كل مـن أعـان علـى إخـراج الكتيـب إلى النور:

فاعلة الخير التي اشتركت في تكاليف الطبع، جعل الله ذلك من صدقاتها الجارية.

فضيلة الشيخ المحلاوي الذي حلىٰ الكتاب بكلماته فحلت به بركة العلماء العاملين.

الأستاذ .... الذي قام بتصميم الغلاف.

الأسـتاذ عـلاء عبـد الخـالق زعـزوع مـدير دار البـشير للثقافـة والعلوم.

❀ ❀ ❀

أنا.. وهي.. ورمضان
حالات زوجية

هذه المقالات المشتركة تعبر عن حالات زوجية رمضانية، تركنا القلم بين أيدينا ليفصح كل منا عن مشاعره، ولتشهد الصفحة الواحدة ذات الشقين المتعانقين مدىٰ الاندماج الزوجي الذي يرفع شهر رمضان قدره ويزيد أثره.

د. أحمد عيسى
و
إيمان مغازي الشرقاوي

❀ ❀ ❀

الاستعداد

أنا..

حينما يبدأ شهر شعبان أشعر أن رمضان في الأفق غير البعيد، وتمضي أيام شعبان سريعة وما يفيق الإنسان وهو في زحمة الحياة والعمل واللهو إلا علىٰ هلال الخير والبركة، دون أن يستعد لحصد الخير، ونيل البركة!

ما أجمل أن أجلس مع زوجتي في شهر شعبان نضع خطة الاستعداد لشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار. لعلنا نضع أمام أنفسنا السؤال المؤلم: هل يبلغنا الله رمضان؟ هل سيكون هذا العام هو آخر عهدنا بالموسم الذهبي للتطهر قبل القدوم علىٰ الله؟!

كم من السنين مرت مع رمضاناتها نخرج منه كما دخلنا، صفر اليدين، أو نخرج بأقل من ذلك وقد ضاع الزمان المبارك في رمضان في لهو وباطل؟

ما رأيك يا زوجتي في تمرين الجسد والروح بصيام شيء من شعبان، وما رأيك في قراءة فقه الصيام قبل أن يأتي الشهر، وقراءة تفسير آيات الصيام والاطلاع علىٰ كتب التزكية للنفس الخاصة بهذا الشهر؟

يقول أنس بن مالك: (**كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبّوا علىٰ المصاحف فقرءوها، وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين علىٰ صيام رمضان**). فلنقرأ القرآن أكثر وقتا وتدبرا في شعبان لعله يزيل صدأ الشهور الماضية ونحن في غفلتنا، وتصبح قلوبنا وقد استنارت محلا طيبا ينتفع بما يسمع من قرآن في رمضان «**إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب**»..

وفي قول أنس معنىٰ جميل أرجو أن أعمله هذا العام وهو إخراج زكاة المال في شعبان حتىٰ يكون المال سببا للمساكين والفقراء أن يصوموا خير صيام بعيدا عن نكد الحاجة وألم الفاقة، وأن يجدوا ما يفطرون عليه.

تعالي يا زوجتي نستصحب نيات لهذا الشهر من الآن.. ففي الحديث القدسي الذي رواه مسلم «**إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة**».. ما رأيك في نية ختم القرآن مع التدبر، ونية استصحاب الإخلاص في أعمال رمضان، ونية التوبة النصوح، ونية تغيير الأخلاق والسلوك والتعامل مع الناس إلىٰ أفضل ما يكون، ونية حصد أكبر غلة ممكنة من مزارع الحسنات بالعمل والعبادة والدعوة ومساعدة الناس.

زوجتي.. ليس هروبا من مسئوليتي حينما لم أذكر الاستعداد بالطعام في رمضان! ولكن لماذا يقوم الناس بإنفاق كثير المال في

تخزين الطعام وما لذ وطاب منه؟ هل كان هذا دأب النبي ﷺ والصالحين؟.. لا تقلقي.. فالطعام موجود وبركة رمضان تعني الحاجة إلىٰ أقل من المعتاد!

هي..

كلما مرّ علينا رمضان وفات أشعر يا زوجي بالحزن والأسىٰ علىٰ فواته، وأخشىٰ ألا ندركه مرة ثانية فيفوتنا الخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله. وكلما أتذكر قول الله تعالىٰ «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به**» (أحمد) أطير شوقا وتحنانا لشهر الصيام، وأدعو من أعماق قلبي.. اللهم بلغنا رمضان، لننعم معا بصيامه، نقرأ القرآن معا، ونصلي معا، نصوم ونفطر، ونقوم ونذكر، ونتعاون علىٰ أعمال الخير.. وما أجمل أن يكون كلا منا يا زوجي عونا للآخر.. حتىٰ نحظىٰ بما في أيامه من مغفرة ورحمة ورضوان، وبركة وعتق من النيران.

وها نحن الآن علىٰ أعتاب بابه وقد أوشكنا أن نلج إليه، وها هي الأيام تجري بنا بسرعة سريعة، والشهور تمضي بطريقة غريبة، لا يكاد يهل علينا هلال شهر حتىٰ يوافينا أخوه مِن بعده، يأفل هذا ليقبل ذاك! ونحن نعيش مع هذا وذاك في دوامة عجيبة يلف معها الوقت ويدور في عجلة الحياة بإيقاعاتها المسرعة ودورانها الرهيب في كل اتجاه، فيتبعثر العمر وينقص ويبلىٰ،

ويفقد بريقه ولمعانه مع الـدوران والالتفـات، فالمغريـات أمامنـا كثيـرة والملاهـي متنوعـة والـشهوات واسـعة، و«**الـدنيا خـضرة حلوة**» وأخشىٰ مـا أخـشاه أن يفيـق الواحـد منـا وقـد انقـضىٰ منـه العمر دون أن يشعر، ولمّا يصل بعد إلىٰ نقطة الفوز وغاية الرضا وكأس الفلاح. لذا فإن علينـا يـا زوجـي أن ننـوي مـن الآن وقبـل حلـول الـشهر الكـريم أن يكـون لنـا معـه صـحبة مـع الأعمـال الصالحات، وأن نقدم بين أيدينا توبة نصوحا تـسبقنا إليـه وتجـدد عهدنا به وتعقد لنا معه صلح الطاعة والـولاء والـبر والوفـاء علـىٰ طول أيامه ولياليه ومـن ثَـم علـىٰ مـدىٰ العمـر والطريـق، فـ «**إنمـا الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**». «**ومن كانت الآخـرة نيته جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»

(صحيح الترغيب- صححه الألباني).

وكـم نخطـئ يـا زوجـي حـين نظـن أن الاسـتعداد لاسـتقبال رمضان إنما يكون بتعليق الزينات وإنارة الطرقات، وأنه لا يتم إلا بتخـزين أنـواع الطعـام وإحـضار أصـناف الحلـوىٰ والتـزاحم في الأسواق وزيارتها من آن لآن، لجلب أضعاف ما نستهلك في غيره من الشهور! وتالله ما لهذا شرع الصيام، إنمـا شـرع للتخفـف مـن كثرة الطعام والتخلص من ثقل الذنوب والأوزار، فهـل تـساعدني يا زوجي علىٰ ذلك وتكون عونا لي؟

إننا إذا ما أحسنّا طرق الاستعداد لاستقبال رمضان ووضعنا لأنفسنا معا كزوجين خطة الاستعداد وكيفية الاستقبال، وحسن الضيافة، فإننا سنسير علىٰ خطىٰ راسخة معه في أيامه ولياليه، فنصبر علىٰ الجوع برضا، ونواظب علىٰ القيام بصبر، ونكثر من أعمال الخير المتعددة التي يضاعف الله عليها الأجر والثواب، ويحصل بها التغيير في القلوب والمفاهيم، وتصلح معها أقوالنا وأفعالنا، فنتذوق معا حلاوة الثمرة.. ثمرة التقوىٰ التي من أجلها شرع الله الصيام.

بَيْد أن هناك –يا زوجي– بعض الصائمين يخرجون من رمضان كما هم لم يتغير لهم خُلق، ولم يخشع لهم قلب أو تدمع لهم عين، لم تطمئن لهم نفس ولم تطل لهم يد، ذلك لأنهم ظنوا أن رمضان إنما هو جوع وعطش، ينتهي ساعة الإفطار! أتمنىٰ أن لا أكون أنا وأنت من هؤلاء، فهم لم يفقهوا المعنىٰ الحقيقي للصيام، «**ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**» (الجامع الصغير- صححه السيوطي).

إننا إذا أردنا أن نتقن أيّ عمل ونأتي به علىٰ أكمل وجه فلا بد لنا أن نتدرب عليه قبل حلول وقته بزمن كاف، فذلك أدعىٰ وأقرب لإتقانه وتمامه، كما أن علينا أن نتعلم كيفية القيام الصحيح بهذا العمل، وننظر في عوامل النجاح فيه للأخذ بها،

وجوانب التقصير والنقص لتُتجنب، فإنما العلم قبل العمل.. فإن كان هذا يا زوجي في أعمالنا الدنيوية فكيف بصيام رمضان؟ لا شك أنه يحتاج منا علما أكبر وفقها أكثر ومعرفة بعلامات قبوله وما يجرحه أو يبطله، ما يحبه وما يكرهه، كل ذلك بصدق صادق، حتىٰ نعبد الله علىٰ بينة ونأتي بشروط القبول من الإخلاص الخالص والمتابعة الصحيحة، لذا فإنني أتمنىٰ حقا أن نقرأ معا في فقه الصيام ونسأل بعض العلماء إذا تطلب الأمر معرفة أكثر، وقد أعجبني منك فكرة استصحاب النيات المتعددة لأعمال الخير في هذا الشهر، وأتمنىٰ أن يقوم كل زوجين بهذا العمل تمهيدا لاستقبال رمضان.

فلنبدأ معا ولنستعد ليبلغنا الله هذا الشهر الكريم، وما أجمل أن ننوي يا زوجي من الآن، لنخلص إلىٰ الله ونتخلص من جاذبية الأرض وثقل الطين..

❀ ❀ ❀

بين الصيام والفطر

أنا..

مـا أرحـم الله سـبحانه حـين يرفـع الإصـر والأغـلال ويزيـل الحرج، ويشرع اليسر، ولا يريـد العسر.. «**ومـا جعـل علـيكم في الـدين مـن حـرج**»... تلـك كانـت بعـض مـشاعري حينمـا أتـذكر حكمة الله البالغـة في عـدم إلـزام زوجتـي بالـصيام في حـال عادتهـا الشهرية أو نفاسها، ورخصة الفطر لها في حال حملها لجنينها، أو إرضاعها لمولودها.. «**ألا يعلم من خلق وهو اللطيـف الخبيـر**».. هي رحمة مهداة للمرأة ككـائن بـشري رفيـع، فيمـشي الـشرع مـع الفطـرة، ويراعـي كيـان المـرأة وصـحة الجنـين ونمـو الرضـيع، ويوازن بـين قـوة المـرأة وتحملهـا (**ممـا لا يطيقـه أي رجـل مهمـا كان**). وطاعتها لله بأخذها بالرخص، كما تأخذ بالعزائم. كثيرا ما أعلم أن زوجتي في هذه الحالات تشرب الماء فقط علىٰ استحياء، وخفية، فلا تؤذي أحدا يصوم وهي تفطر أمامه، وحتىٰ نأكـل معـا في المغـرب، وفي هـذه الأحـوال أطلـب منهـا أن تأكـل حتـىٰ لا تضعف وتضيع الفكرة والغرض من وراء الرخصة الشريفة.

وكثيرا ما يأتينني النساء المسلمات في العيادة يـرغبن في أخـذ

حبوب الهرمونات التي تؤجل لهن العادة الشرعية فيستمتعن بصيام رمضان كله، وفي غالب الأحوال- رغم جواز الأمر دون ضرر، ويزيد الضرر مع زيادة العمر- أستطيع إقناعهن بعدم المساس بفطرة الله، وإرسال سنة الله محررة بلا قيد.

وفي تناول تلك الحبوب أثر غير مرغوب فيه في عدم انتظام العادة الشهرية بعد رمضان. كما أنني أشعر أن ترك الأمر بطبيعته يجعل المرأة تشعر بحبها للصيام أكثر حينما تفطر ويصوم الآخرون، ولهفتها أن تنقضي أيام الحيض بأسرع ما يمكن، ويجعلها ترغب في اللحاق بركب الصائمين. كما أن في قضائها للصيام بعد رمضان استمرارا للصيام طوال العام في بهجة تتفتح مع دوران الفصول، واستقامة مع حلاوة العبادة في كل حين. وقد يدفع هذا القضاء زوجا مثلي أن يصوم معها نافلة فيستعيدا فرحة الإفطار معا والدعاء معا والمشاركة في رحمة العبادة وأثرها علىٰ حبهما وأخلاقهما.

لا أستطيع أن أتصور رجلا لا يشجع زوجه علىٰ أن تأكل جيدا في نهار رمضان في أيام عذرها، ولا أتصور امرأة لا تأكل مع زوجها –ولو كانت مفطرة- وقت المغرب حين تتنزل الرحمات ويستجاب الدعاء، بحجة انها أفطرت بالنهار.

رغم صيامنا وفطرنا فكلانا في مركب واحدة عليها شراع

شريعة الله نتفانىٰ في أن تصل إلىٰ شط الأمان.. إلىٰ الجنة.

هي..

إن رحمة الإسلام بالمرأة تصل إلىٰ أبعد الحدود مما لا يتصوره أحد ولا تحلم به المرأة نفسها تتجلىٰ في رمضان حيث شرع الفطر لنا في أيام الحيض والحمل والنفاس والرضاع.

حال إفطاري في أيام رمضان أثناء عذري الشهري الذي كتبه الله علىٰ بنات آدم، أشعر شعورا ممزوجا بالرضا والثناء علىٰ الله الرحيم، وإن كان القلب معلقا بالصيام والفكر مشغولا به والروح تتوق إليه وتحلق في سمائه. وحين تنتابني فيه حالات من الأرق أو المغص والصداع أشكر الله تعالىٰ أن أوجب عليّ الإفطار، وأرىٰ في ذلك نعمة تستحق الشكر، وأتساءل في نفسي أيّ مشقة كنت سأعاني منها، وأي حرج كنت سأقع فيه، وقد قال الله تعالىٰ: «**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**» لذا فأنا لا أتردد بعد أن وعيت ونضج تفكيري أن أفطر وأتناول من الطعام ما يعوض ما يفقده جسمي المنهك مع دم الحيض، ويقوي ما يعتريه من ضعف ويخفف ما به من آلام.

وكثيرا ما حدثتني نفسي وأوشكت أن أتناول الحبوب الهرمونية التي تؤخر الدورة الشهرية، ثم أتراجع بعد وأتناجىٰ مع

نفسي وأقنعها بأن الخير كل الخير فيما اختاره الله لي، فأفطر وأنا راضية لعلمي بأنني إن صمت طيلة نهار رمضان فلن يكون من نصيبي إلا الجوع والعطش.

في فترة الحيض أجد من زوجي رحمة بي تجعله دائما يحثني على الأكل وألا أعيش في نهار رمضان حال عذري على شربة ماء حرجا أو ورعا، فهو حرج وورع في غير موضعه. ويبين لي بعض حكمة الله عز وجل في حفظ صحة المرأة وجنينها ورضيعها، بل وأحيانا يقدم لي الطعام بنفسه مودة ورحمة فأستشعر حرصه عليّ وحبه ورعايته يتجلى ويزيد في هذه اللحظات وهوصائم، قد فجّر الصوم في نفسه المزيد من ينابيع الرحمات التي تنضح عليه وتنعكس على تعامله معي فأزيد له حبا وإخلاصا.

ورغم إفطاري بسبب العذر إلا أن ذلك لا يمنعني من المحافظة على أورادي اليومية وذكر الله كثيرا وعمل الخير ومراجعة ما أحفظ من القرآن الكريم عن ظهر غيب وتعليمه ما استطعت، ورعاية زوجي وأولادي وبر أهلي وصلة أرحامي وحضور مجالس العلم.. فأنا لا أترك إلا الصوم والصلاة امتثالا وطاعة لأمر الله لكني بعد انقضاء رمضان أسارع في قضاء ما أفطرت وربما صام زوجي معي تشجيعا وعونا.

الطعام

أنا..

أكاد أشعر بأنّات الجوعىٰ حولي وأنـا مـستعد لتنـاول الطعـام. تقول منظمة الأغذية أنه يوجـد 800 مليـون جائع في العـالم، أمـا الذين أوشكت صـراخاتهم أن تتلاشىٰ مـن حـولي فهـم الأطفـال الذين يشدهـم سوء التغذية الحاد إلىٰ حافة المـوت! مليـون طفـل في الساحل الغربي ووسط إفريقيا، ومليون مثلهم في اليمن وحـده (منظمة اليونسيف مايو 2012).

كيف يا زوجتـي يهنـأ لـي طعـام، أو أستـسيغ شـرابا، خاصـة في رمضان حين يشعر الصائم بلدغة الجوع، وغصة العطش، فيدعوه ذلك إلىٰ التكافل مع الجوعىٰ والظمأىٰ.

في بعـض الإحـصاءات أن الإنفـاق علـىٰ الطعـام في رمـضان يتضاعف ثلاث مرات! أما الفائض عن الأكل فحدّث ولا حرج.

ليست هذه هي الحكمة من الصيام، بل العكس تماما!

وعلىٰ المستوىٰ الأسري وأنا وأنت.. لماذا أشـتري مـا يزيـد عـن حاجتنا، ولماذا تطبخين ما لن نأكله؟ ألم ينبهنا القرآن في كل وقـت..

﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31].

قال بعض العلماء: (**جمع الله بهذه الآية الطب كله**). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (**فالذين يقتصدون في المأكل فعليهم بها أكثر من المسرفين فيها، فإن أولئك إذ أدمنوها وألفوها لا يبقىٰ لها عندهم كبير لذة... وتكثر أمراضهم بسببها**).

وقال النبي ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه**» (أحمد، وصححه الألباني).

وقال لقمان لابنه: (**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة**).

لو علم كل صائم عند فطره وقد امتلأت المائدة بألوان الطعام أن له إخوة في الإنسانية والدين يحتاجون لشربة ماء أو لقمة خبز تمنع عنهم الموت، لمَا أكل إلا ما يكفيه وأنفق الزائد في طرق البر والإحسان التي تناسب رمضان من إطعام الفقراء واليتامىٰ والجوعىٰ.

تخيلي نفسك يا زوجتي أنا وأنت وأولادنا مكان هؤلاء في تشاد أو اليمن أو النيجر أو إفريقيا الوسطىٰ أو مالي أو الصومال.. تخيلي أننا إحدىٰ الأسر المنسية الجائعة التي توشك أن تهلك، ولا تستطيع صرخاتنا أن تصل إليكم يا مَن علىٰ الموائد الزاخرة!

هي..

إن رمضان يا زوجي فرصة عظيمة لي ولك للمواساة والشعور بالآخرين، فمن ذاق طعم الجوع ولو لحظة شعر بالجائعين ومعاناتهم في سبيل أن يجدوا لقمة خبز تسد جوعهم، وتنقذهم من ألم رهيب وموت محقق، يفتشون عنها في القمامة والنفايات إن كانوا يملكون قمامة! أو يبحثون عنها في بيوت النمل تحت أنقاض الثرىٰ! وقد رأيت ذلك في بعض وسائل الإعلام ولم تصدقه عيناي والأمهات يحفرن الأرض ويغربلن التراب ليخرجن في نهاية ذلك العمل الشاق ببعض حبوب من الأرز أو الخبز الذي قام النمل بتخزينه لفصل الشتاء! ماذا لو كنتُ أنا أو أنت أو أحد أولادنا مع هؤلاء؟ إنني كلما يفيض عندي بعض طعامنا أتذكر هؤلاء الجوعىٰ وتلومني نفسي وأستغفر الله.. ألا يجدر بنا بعد ذلك أن نحافظ علىٰ نعمة الطعام ونقتصد فيها طبخا وأكلا وضيافة، وأن نتذكر الفقراء والمساكين والجوعىٰ منه فلا نبخل عليهم بثمنه وبذله، وإن قليلا مما نوفره معا ونحن صائمان قد ينقذ طفلا من الموت لك أن تتخيل أنه طفلي وطفلك! والله تعالىٰ يقول: «**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**».

إن ثقافة الأكل في رمضان التي ألفناها لا بد أن تتغير وتتبدل يا زوجي، فهي مغلوطة وخاطئة، فمَن ذا الذي يقول أن الصيام عذر

لأن نلتهم الكثير من الطعام عند الإفطار؟ ومَن الذي أوجب عليّ أن أطبخ كل يوم ما لـذ وطـاب مـن صنوفه بكميات تفيض عـن حاجتنا، أضطر معها أن ألقي الفائض منها في صـناديق القمامـة أو إلىٰ الطيور في وقت يموت فيه الأطفال والكبار جوعا ويعيش فيه ملايـين الجـوعىٰ في الأرض وهـم يتـضورون؟ ومـا الـذي يجعلني أتكلف في تجهيز الطعـام عنـد دعـوة الـصائمين للإفطـار، فأطهو من كل شكل ولون، وأقدم لهم من كل جنس ونـوع؟ّ! قـد أفعل ذلك خوفا من النقد وهروبا من اللوم، أو تفاخرا ومباهاة، أو جودا وكرما، وفي كل الأحوال أتعرض للإسـراف المـذموم، وقـد قال عمر بن الخطاب ﷺ لجابر بن عبد الله ب لما مر عليـه ومعـه حامل لحم: (أما يريد أحدكم أن يطوي بطنـه لجـاره وابـن عمـه؟ فأين تذهب عنكم هذه الآيـة «**أذهبـتم طيبـاتكم في حيـاتكم الـدنيا واستمتعتم بها**»).

أكاد يا زوجي أُجَنّ وأنا أرىٰ الأطفال وقد تحجّـرت المُقـل في محاجرهـا يستـصرخون فينـا روح الأخـوّة الإنـسانية والأخـوّة الإيمانيـة ولـسان الحـال ينـادي.. أيـن أنـتم يـا بـشر؟ أيـن أنـتم يـا صائمون؟ أمَا تشعرون مثلنا بالجوع أم أن البطون قد امتلأت إلـىٰ حد التخمة في الإفطار والـسحور فـلا مكـان فيهـا للدغـة الجـوع؟ فأشعر بالأسىٰ وأدعـو الله أن يقـدرني أن أقـدم لهـم شـيئا، وأسـأله

العفو والمغفرة.

فجَزاك الله خيرا يا زوجي علىٰ تعاونك معي للقيام بذلك، وما رأيك أن نتصدق بثمن وجبة طعام يومية نوفرها بالصيام؟ وجزىٰ الله خيرا كل زوج أعان زوجته علىٰ الاقتصاد في مائدة رمضان، وحثها علىٰ ذلك، وتصدق معها بثمن ما اقتصداه علىٰ المحتاجين.. وجَزىٰ الله كل زوجة لم تتكلف أو تسرف، لتشارك زوجها الأجر في إطعام الطعام وملء البطون الخاوية.. وبارك الله لكل مَن واسَىٰ بما يستطيع فمسح رأس اليتيم وأطعمه من طعامه، ودعا علىٰ مائدته ذوي الحاجة والعوز من الفقراء والمساكين فسدّ حاجتهم ابتغاء مرضاة الله، كما كان دأب الصالحين، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يأكل حتىٰ يؤتىٰ بمسكين يأكل معه.

فما رأيك يا زوجي أن نستضيف علىٰ مائدتنا بعض هؤلاء، وما رأيك أن نقلل ونقتصد هذا العام في طعام الإفطار ونقدم قيمته إلىٰ من يحتاجه حقا، وهم في كل مكان، فلنبدأ بالأكثر حاجة والأشد جوعا وفقرا..

ألا وإن شهر رمضان فرصة لي ولك للعودة لهذه المعاني العظيمة، وفرصة لإظهار تلك المشاعر الإنسانية، فهو شهر العطاء والكرم والجود والمواساة.

الكـلام

أنا..

أرسل حاكم الكوفة يوما في طلب لبيد الشاعر (**لبيـد بـن ربيعـة من أصحاب المعلقات**) وسأله أن يلقي شيئا من شعره، فقرأ لبيد سورة البقرة وقال عندما انتهىٰ (**منحني الله هذا عوض شعري بعد أن أصبحت مسلما**). وقيل أنه لما أسلم لم يقل غير بيت واحد وهو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه: والمرء يصلحه القرين الصالح.

وأنـا وزوجتـي -خاصـة في رمـضان- يجـب علينـا أن نحفـظ لساننا، وأن يساعد أحدنا الآخر، ألست قرينتي؟

مـع آيـات الله العـامرة بكـل معـاني الإيمـان والفـضيلة، وتـزداد حلاوتها في رمضان، فليسكت كل شيء!

إذا عاش الزوجان بالقرآن ومع القـرآن في رمـضان، فـلا مكـان ولا زمان لأي كلام مباح باطل، أو حرام قبيح! فاللسان صائم مع بقية الجوارح، ولا مجال داخل الأسرة المسلمة لأصوات النـزاع وصراخ الاختلاف.

يحضرني زوجتـي موقـف مـريم البتـول وهـي تقـول بنـاء علـىٰ

النصيحة الربانية «**فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**» قال ابن عباس: يعني بالصوم الصمت. وقال الضحاك: كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام إلا من ذكر الله. وقال السدي: كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام.

أما عن سنتنا نحن في الصيام فهي الإمساك عن كل كلام لا يليق، ففي الحديث: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**» (البخاري). والزور كل كلام باطل ومائل عن الحق.

وفي الحديث أيضا قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم..**» (البخاري) . الصخب: الخصام والصياح وهو منهي عنه ولكن تأكيد لذلك حالة الصوم.

(**وأما اللفظات فحفظها بألا يخرج لفظة ضائعة بل لا يتكلم إلا فيما يرجو منه الربح والزيادة في دينه، فإن من أراد أن يتكلم بالكلمة نظر فيها ربح أو فائدة أم لا فإن لم يكن فيها أمسك عنها...**) ابن القيم.

الصائم كما قال ابن القيم هو (**الذي يحفظ لسانه.. فيخرج كلامه نافعا وصالحا، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها مَن جالس حامل المسك، كذلك مَن جالس الصائم انتفع بمجالسته...**).

وهنا يأتي الاندماج الأسري بحيث يكون الزوج أو الزوجة كالجليس الصالح الذي هو كحامل المسك "إما أن يحذيك – يعطيك- وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة" (البخاري). والعبرة أن يستمر ذلك الوضع من الصمت الجميل والكلام الحسن طيلة العام!

هي..

إن الله تعالىٰ ذكر صيام رمضان في كتابه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183].. وأظن يا زوجي أن من التقوىٰ الصمت عن سيئ الكلام وقبيحه، ولغوه ولهوه، وباطله ومنكره، ويتحقق ذلك أكثر وأكثر بالصيام..

وأظن أن من التقوىٰ أيضا حسن الكلام.. ولئن كان مَن قبلنا يصوم عن الكلام إلا مِن ذِكر الله، فإن صيامنا قد أتم الله به الصيام، فلا صوم لنا عن طيب الكلام وإفشاء السلام، والدعوة إلىٰ المعروف والنهي عن المنكر، وليس لنا أن نصوم عن قول

الحق وتعليم الخير وإرشاد الضال وهداية الحيارىٰ، وهذا ما ننوي فعله معا في رمضان تقربا إلىٰ الله، ولا شك أن كل ذلك يبدأ يا زوجي بالكلام..

إذا تفكرنا في أمر اللسان، ونظرنا إلىٰ مَن حولنا رأينا أننا أمام إمساك اللسان أصناف.. فمنا مَن يغلق باب فمه علىٰ لسانه فلا يفتحه إلا بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، اعتزل الناس فاعتزلوه، لا يشاركهم في قول من قريب أو بعيد حتىٰ لا ينشغل بهم عن أوراده وأذكاره.. يعيش رهبانية ما كتبها الله عليه ولا ارتضاها له، قد أغلق عليه بابه ورضي بحاله ظنا أن في ذلك النجاة.. هذا وإن كان بعضه حسنا فإن الأحسن منه مَن ينفع بلسانه نفسه ثم ينفع به الآخرين، فيجمع بين الخيرين، وهذا الأحسن هو ما أريده لي ولك يا زوجي، لأن «**الدال علىٰ الخير كفاعله**»، وما أعظم أن نقوم بذلك معا ونتواصىٰ به ونصبر عليه أنا وأنت في رمضان.

وهناك مَن يطلق للسانه العنان ويهَبه حرية الكلام فيخوض في أعراض الناس مع الخائضين، ويشارك في كشف أستارهم، ويردد كل شائعة ويروج لها دون تفكير، لا يذكر الله إلا قليلا، يلغو ويلهو بكلامه دون ضابط يضبطه أو حابس يحبسه.. وهذا شرّ وأي شرّ! نجاني الله وإياك أن نكون من هذا الصنف.. فالله تعالىٰ

يقول: «**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**». والنبي ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» (البخاري). ويقول: «**من صمت نجا**» (الترمذي). والصمت هو الإمساك عن قول الباطل دون الحق. فهل نصمت وننأىٰ معا يا زوجي عن إطلاق اللسان بغير حق، وهل يكون كلانا للآخر جليسا صالحا يذكر قرينه إذا ما نسي، ويعينه إذا ما تذكر؟ أتمنىٰ ذلك وأرجوه خاصة في رمضان.

وخير من هذا الصنف وذاك مَن يمسك لسانه إلا من خير.. وهذا ما يجب علينا كزوجين أن نفعل، ويتحتم علينا كقدوة لأولادنا أن نكون، نتعاون معا عليه ونستمسك به «**وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه**».. والله تعالىٰ يقول: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:114] . فكل حال له عبادته الخاصة به التي قد تفوق غيرها أجرا وتتقدم عليه حكما في تلك اللحظة، ومن هنا تعددت عبادات اللسان، فقد تكون ذكرا وتسبيحا، أو دعوة إلىٰ الله وتذكيرا.. قد تكون السكوت، وقد تكون بناء جسور من التواصل بين الناس بالكلمة الطيبة والدعوة الصالحة، أو بالإصلاح بينهم وإنماء الحب والتآلف في قلوبهم. وهذا كله أو بعضه يعجبني منك

يا زوجي حين تفعله وتدعوني إليه، وتذكّرني أن لساني لم يُخلق لأغتاب به الناس وأتهمهم، أو أعيبهم وأسخر منهم، فالله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾[الحُجُرات:11] . وحبيبنا وقدوتنا ﷺ كان «**يكثر الذكر ويقلّ اللغو**» .. وأن الصالحين ممن سبقونا عرفوا ذلك، فكان الربيع بن خيثم رحمه الله يقول: (**لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك عن الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن**).

ألا إنها لفرصة عظيمة يا زوجي في رمضان ليدرب كلانا لسانه علىٰ القيام بدوره الصحيح، ويعالجه ويرطبه بذكر الله، ويجمّله بحسن المنطق ولين الكلام، وينقيه من اللغو والزور والآثام، ويغسله وينظفه ويجلوه بتلاوة القرآن، وما أجمل أن أرتقي معك —يا زوجي- بأقوالنا، ونفسح للحوار الراقي مكانا في بيتنا، وننتقي في حديثنا معا أطايب الكلام بعيدا عن التجريح واللوم والإيذاء، فإن جرح اللسان لا يندمل، وحدّ اللسان أمضىٰ من حدّ السنان، «**والكلمة الطيبة صدقة**» (البخاري).

بين القيام والنوم

أنا..

مـن خـصائص رمـضان أنـك تجـد في ليلـه إحـساسا غريبـا مـن القدسية والإيناس، وكأن الليل نفسه مستيقظ ومنوّر!

من هنا كان قيامه أسهل من غيره، وأخشع من غيره، وأخلص من غيره.

وكثيرا ما تمر ليالي رمضان تلك بـدون (**قيـام**) حقيقـي، وإنـما هـو (**عـادة**) الـتراويح في المـسجد، وإن كـان الأمـر يختلـف مـن مـسجد لآخـر فقـد تكـون محظوظـا بإمـام يرقـىٰ بـك بقراءتـه، أو يبكيك بدمعه، فحينئذ يتحقق القيام.

قـد أجـد زوجتـي متلـذذة بقيامهـا في البيـت أكثـر ممـا هـي في المسجد تأخذ ركنا هادئا، وضوءا خافتا في قلب الليل، فيصل إلىٰ قلبها روعة القرآن، وعـبرة الآيـات، وتعـيش خلالهـا بـين الرجـاء والخـوف. وقـد أجـد أحيانـا إمـامتي لهـا بعـض الليـالي تقربـا لله، واقترابا لبعضنا البعض.

بين القيام والنوم قد يختلف الزوجان في التوقيت، وقد يتفقان، ولكـن دومـا لا يفترقـان. مـن الحـب الحقيقـي بينهمـا في رمـضان

الأريحية والتراحم والسماحة، فهذا موسم للطاعة لعله لا يعود، أو يعود فلا يجدنا!

فإذا أراد الزوج أن ينام معها بالليل فلا تمتنع ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾[البقرة:187].

وتستطيع أن (**تتسلل**) بعد ذلك من السرير إلىٰ سجادة الصلاة عبر التطهر. وحبذا لو أيقظته بعد أن يأخذ قسطه من النوم كي يشاركها القيام.

وإذا أرادت المرأة أن تنام لشدة إرهاقها في عمل البيت أو خارج البيت، فلماذا لا يهدهدها حتىٰ تنعس ثم يتسلل هو هذه المرة!

أما السهر علىٰ المسلسلات معا فهذا عيب أسري كبير في حق هذا الشهر الكريم، أما سهر أحدهما في ذلك وترك الآخر فهذا لا يليق.. فهل تُترك الرحمات الربانية من أجل صور دنيوية؟

ونوم النهار الطويل الثقيل في حقهما لا يليق إلا بقدر ما يستعان به علىٰ القيام والعمل.

أرىٰ أن من أسباب تسهيل القيام، هو عدم ملء المعدة بألوان الطعام ساعة الإفطار، ومما يسبق من ساعات الإعداد وإرهاق شريكة العمر، ومما يلحقه من امتلاء المعدة وخمود الفكرة،

وكسل الأعضاء، ومما ينسىٰ بين هذا وذاك من الجوعىٰ والفقراء واليتامىٰ والمساكين الذين يأكلون خشاش الأرض، وبقايا الفتات من أكوام القمامة.

ذلك القيام في رمضان مع القرآن والصلاة.. فرادىٰ.. أو معا.. أنا وهي يطمع المرء أن يجده حين يقوم الناس لرب العالمين، ويفر المرء من أخيه وصاحبته وبنيه. يجده شفيعا لزوجين قاما لله معا، ليظلهما الله معا.

هي..

حين نسمع آيات الله تعالىٰ تتردد علىٰ مسامعنا في قيام رمضان نحلق بأنفسنا وأرواحنا في آفاق رحبة من السمو الذي لا يدانيه رفعة مهما علت، فأجمل ما في ليل رمضان أنك تعيش مع القرآن من أوله حتىٰ آخره بقلبك وسمعك وعقلك وجسدك، ولا أتخيل أحدا يغفل عن صلاة التراويح فيه ويشعر له بلذة.

أحيانا أذهب مع زوجي إلىٰ المسجد لصلاة التراويح، لأنه يعلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» (رواه مسلم). وأنا أخرج للدراسة والتسوق والنزهة، فلماذا لا أخرج للصلاة وهي أَوْلىٰ وأهمّ.

وأحيانا أخرىٰ أفضّل الصلاة في البيت وحدي حيث أخلو بها بعيدا عن ضوضاء الطريق وحديث الصديقات، وبكاء الأطفال!

قد تكون صلاة الأم في البيت مع أطفالها الصغار أفضل حين تصلي بهم ركعتين تعلمهم بها المناجاة مع الله عز وجل، ولا تضطرهم للسهر الذي يؤثر عليهم، أو يؤخرهم عن مدارسهم، أو تزعج ببكائهم المصلين. وما أجمل أن تحنو عليهم فتطعمهم وتهدهدهم حتىٰ إذا ما ناموا دخلت محراب صلاتها وهي هادئة البال مطمئنة النفس، وهذا بالتأكيد لا يمنع من اصطحابهم للصلاة في المسجد من حين لآخر.

ورمضان جدير ألا يضيع نهاره بين التردد علىٰ الأسواق إلا لضرورة، وألا يُنهك الجسد فيه ويُظلم بطول الوقوف في المطبخ وكثرة الولائم، والأكل حتىٰ التخمة. كما أن الإقلال من استخدام الهاتف، والابتعاد عن القيل والقال، وغض البصر وحفظ السمع والقلب والأذن والجوارح كل ذلك يطلب في نهار رمضان لينشط الجسد لقيام ليله، أما النوم الطويل ليلا كان أم نهارا، فهو يضيع علىٰ الصائم كثيرا من الفرص العظيمة والغنائم الرمضانية التي ننتظرها جميعا من العام إلىٰ العام.

ومهما أدىٰ الزوجان صلاة التراويح في المسجد فإن ذلك لا يمنع من تزيين بيتهما بالاجتماع معا علىٰ مائدة القرآن الكريم تلاوة وترتيلا وتدبرا وقياما مع ركعتين في جوف الليل خالصتين لله بعيدا عن عيون الخلائق.

ومع إحسان الله تعالىٰ إلىٰ عباده في شهر الإحسان، يطلب منهم أيضا أن يحسنوا إلىٰ الفقراء والمحتاجين واليتامىٰ والأرامل والمساكين.. وحين يقف الصائم أمام ربه وخالقه داعيا إياه راجيا منه العفو طالبا الغفران فإن عليه أن يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه، ليكون أهلا للرحمة والإحسان.

❀ ❀ ❀

النسيان

أنا..

أتذكر وأنا طفل كبير قبيل أذان المغرب كنت أذهب يوميا إلىٰ حقل الخضر القريب لآتي بجرجير السلاطة الطازج، ولـم أشـعر في يـوم إلا وأننـي تحـت وطـأة رائحـة الجرجيـر أن أذوقـه ناسـيا! وكنت أكتم هذا الذنب في صدري حتىٰ أزاحه الله لما عرفت أنـه من رحمته لعباده الصائمين عفوه عن النسيان. فمن أكل أو شرب ناسيا وهو صائم فلا يفطر بذلك وصيامه صحيح لقول النبي ﷺ: «**من أكل وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**» (متفق عليه). ولا فرق بين صيام رمضان أو القضاء أو النذر أو النافلة وإلىٰ هذا ذهب الجمهور، وفي حديث رواه الحاكم «**من أفطر في شهر رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة**».

يأخذني هذا الأمر يا زوجتي إلىٰ أنـواع أخـرىٰ مـن النسيان! فانظري إلىٰ مغفرة الله وعفوه إلىٰ من لم يتعمد الفطر في رمضان وإن كان أَكَلَ وشرب!

في البيت المسلم علينا أن نصفح عن بعضنا البعض للهفوات والـزلات التـي لـم نتعمـدها، أو الواجبـات والمناسـبات التـي نسيناها!

بل هي التذكرة برفق، أو (**نسيان**) الهفوة بلطف.

أضحك من أعماق قلبي حينما أسمع عن خلافات زوجية لنسيان وضع الملح في الطعام، أو السكر في الشاي، أو نسيان هدية يوم الزواج أو يوم الزواج نفسه!

إن شهر رمضان مدرسة يتقرب فيها العبد لربه علىٰ غير تقوقع من حياته وأقرب الناس إليه. وإنما يكون التسامح عنوان العلاقة الوطيدة التي بنيت علىٰ الإيمان.

ونسيان آخر سيكون علاجه –إن صدقنا– في رمضان.. إنه نسيان العلم والقرآن.

كان الإمام أبو حنيفة إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنب أحدثته وكان يستغفر وربما قام وصلىٰ، فتنكشف له المسألة ويقول رجوتُ أني تِيبَ عليّ، فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فبكىٰ بكاء شديدا ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، فأما غيره فلا ينتبه لهذا.

ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأىٰ من وفور فطنته وتوقد ذكائه فقال: إني أرىٰ الله ألقىٰ علىٰ قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي: فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي.

وأخبرني بأن العلم نور: ونور الله لا يُهدَىٰ لعاصي.

إن عقوبـة المعـصية أن ينـسىٰ العبـد نفـسه، وإذا نـسي نفـسه أهملهـــا وأهلكهـــا.. ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ ﴾ [الحشر:19] فلما نسوا ربهم نسيهم وأنساهم أنفسهم كما في سـورة التوبة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[التوبة:67].

ونسيانه سبحانه للعبد كما قال ابن القيم: (**إهماله وتركـه وتخليـه عنه، أما إنساؤه نفسه فهو إنساؤه لحظوظها العالية وأسباب سـعادتها وفلاحها وإصلاحها، وأيضا فينسيه عيـوب نفـسه ونقـصها وآفاتهـا، وأمراض نفسه وقلبه فلا يخطر بقلبه مداواتها..**).

أمـا طاعـة الله المتراكبـة المتعـددة في رمـضان فهـي أداة التـذكر والذكرىٰ والبصيرة.

هـي..

مع قـدوم شـهر رمـضان تـأتي بـشائر المغفـرة وسـحائب العفـو وأمطار الغفران، «**وهو شـهر أولـه رحمـة وأوسـطه مغفـرة وآخـره عتق من النار**».. تأتي تلك البـشريات تحمـل معهـا غيـوث الإفاقـة من سبات الغفلة، وتقدم الشفاء من مرض النسيان.. نسيان الذات وجلدها ومحاسبتها. فرمضان فرصة ليتذكر الصائم نفسه فيعاتبها ويصارحها وينقيها ويهذبها، لتكون أهلا لرحمة الله، وما أجمل أن أفعل ذلك أنا وأنت يا زوجي في رمضان .

ليس لنا يا زوجي أن نصوم رمضان وننسىٰ الطعام والشراب نهارا فنجوع ونعطش، ونفطر علىٰ عورات الناس حين نذكرها وننشرها علىٰ الملأ، وتنطوي قلوبنا علىٰ بغضهم وكراهيتهم وتمني الشر والسوء لهم، بسبب زلة كانت في حقهم أو إساءة منهم، لصقت بجدار القلوب ولم تأخذ حيز النسيان حين جاء رمضان! فهلا غسل كل منا يا زوجي قلبه، وأفسح فيه مكانا لهذا النسيان ليعود له شفافيته ونقاؤه مع الصيام؟

وليس لنا يا زوجي أن يأتي علينا رمضان وكلانا أو أحدنا لأهله ناسٍ، ولرحمه قاطع، ولأبويه عاق، ولإخوانه مخاصم، ولحقوقهم مضيع، بل الأجدر بي وبك أن ننسىٰ القطيعة والعقوق والخصام مع قدوم ضيفنا إلينا وحلوله بين يدينا لنرضي ربنا ونكرم ضيفنا.

وليس لنا يا زوجي أن يأتي علينا رمضان وأحد منا للأمانات مضيع، وفي جنب الله مفرط، وللطاعات مسوّف، وللإحسان جاحد، يقابل الإساءة بمثلها وزيادة، لا يعفو فيغفر، ولا ينسىٰ فيصفح، لا يقيل عثرة ولا يقبل عذرا ثم هو يطلب من ربه أن يعفو عنه! وينسي أن الله تعالىٰ يقول: «**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**» وأن النبي ﷺ قال: «**ارحموا تُرحموا واغفروا يغفر الله لكم..**» (أحمد).

إن حبيبنا وقدوتنا ﷺ يقول: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» (صححه النووي).. فلماذا لا نتخذ يا زوجي معا هذا الحديث منهجا وشعارا لنا في حياتنا الزوجية والأسرية؟ ولماذا لا نتعلم تصحيح أخطائنا بدلا من اللوم والعقاب، ولماذا لا نذكّر الناسي منا بدلا من اتهامه؟ إنني أتعجب حين يُنسَىٰ النسيان فيما بيننا! ولا يعجبني أن يبذل أحد منا جهده في تَذكّر أي إساءة صدرت من الآخر، وأتعجب أكثر حين لا يكون لها مكان للنسيان مع انتهائها، وأتعجب أكثر وأكثر حين تتجدد عند كل خلاف وتصير موضعا جديدا للنزاع! إنما يعجبني أن نتغاضي عن الهفوات ونتناسىٰ السيئات ونعفو عن الزلات. ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:237] .

أما مَن أراد منا أن ينبذ النسيان فلينبذه عن نفسه التي بين جنبيه وليبدأ بها في رمضان، ففيه تحلو التذكرة، ومن نسي نفسه فأهملها وأوردها مورد السوء والهلاك فقد آن له أن يتذكرها الآن بلا نسيان..

وإذا أردتُ أنا وأنت أن يكون خُلقنا النسيان في جميع الأحوال فلن يستقيم لنا حال يا زوجي، فقد ذم الله تعالىٰ بعض أنواع النسيان، فقال﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾

[الحشر:19] ، فليس لنا أن ننسىٰ حق الله فنترك شكره وتعظيمه فينسينا حق أنفسنا أن نعمل لها خيرا، وليس لنا أن ننسىٰ الله عند الذنوب فينسينا أنفسنا عند التوبة، ولا أن ننساه في الرخاء فينسينا أنفسنا في الشدائد، وليس لنا أن ننسىٰ لقاءه والاستعداد والعمل له فنكون ممن قال لهم ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية:34].

ولا شك يا زوجي أن من النسيان المذموم الغفلة عن آيات الله الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته كما قال تعالىٰ.. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه:126].

ومنه نسيان الذنب وهو محفوظ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:6] ، ونسيان حظ النفس من البر بتركه، والله تعالىٰ يقول: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:44].

وثمة أمر عظيم ليس لي ولك أن ننساه، وهو الموت.. وقد قال النبي ﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت**» (الألباني- صحيح الترغيب).

ألا وإن رمضان يا زوجي فرصة ثمينة لي ولك للتحلي بالنسيان الجميل، وفرصة عظيمة للتخلي عن النسيان المذموم، حتىٰ لا نكون ممن ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[المجادلة:19].. فهيا للعمل معا في رمضان.. ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[الكهف:24].

❀ ❀ ❀

بين المعتكف والبيت

أنا..

هل جربت يوما الاعتكاف في المسجد؟.. هل جربت يوما الاعتكاف للذكر والطاعة والصلاة والتأمل والتدبر.. منقطعا عن كل شيء إلا الله.. هي حالة وجدانية فريدة يزيد من عمقها كونها في العشر الأواخر من رمضان والتي فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

لكن هل نسيت زوجك في تلك الأيام والليالي.. أم أنه شعور الذي يقوم بمهمة عظيمة وعبادة جليلة.. يفترق لها الأحباب.. هل هو شعور الحاج الذي يسافر وحده بلا زوجة وكله رضا لأن شرف الطاعة وقدسية العبادة يتبعه كلأ المطاع وحفظ المعبود.. لأهله.. ولنفسه؟! وقد يكون شعور المجاهد -ولمّا نتذوقه بعد!- حينما يهب للنداء حتىٰ ولو كان في حضن العروس، أو ليلة الزفاف؟!

عجيب أمر الاعتكاف.. فخصوصية المساجد، تدرب قلب المعتكف علىٰ التعلق بالمسجد ويفوز بظل الله في اليوم العبوس القمطرير.

وأعتقد أن تأثير الاعتكاف علىٰ الأسرة عظيم إذ نجح الاعتكاف في تصفية الروح وتنقية القلب، فيحدث التغيير في الأسرة والعلاقة بين الزوجين إلىٰ واقع من التراحم والتفاهم.

وفي المذهب الحنفي جواز اعتكاف المرأة في مسجد بيتها، وهو مكان تكون قد أعدته للصلاة والعبادة بوجه خاص، ويقيس فقهاء معاصرون الأمر علىٰ الصلاة فصلاتها في بيتها أولىٰ (**وكذلك الاعتكاف**).

لا أعتقد أن الرباط الروحي بين الزوجين يضعف بهذا الاعتكاف، بل يقوىٰ ويدعو أحدهما للآخر بظهر الغيب.

والاعتكاف في رمضان سنة مؤكدة- إلا أن يكون قد نذر الإنسان فيجب- ولما كان سنّة، فإذا تعارض مع ما هو واجب، أو أوجب، فيقدم الأهم.

لا أجد في الرجل الذي يترك امرأته مريضة، طاعة بالاعتكاف وتركها وهي تحتاج إلىٰ الرعاية التي يرفع الله قدره بها ويفيض عليه من بركاته أعظم مما يناله بالاعتكاف.

ولا أجد في المرأة التي تترك واجباتها الأسرية طاعة بالاعتكاف والمبيت في المساجد (**والجمهور علىٰ أنها لو اعتكفت بغير إذن زوجها لا يصح اعتكافها وعليها الإثم**).

ولا أجد في الاعتكاف فرصة للتغيير إذا كان الاعتكاف فرصة للسمر والحديث والكلام في الهواتف المحمولة..

ورغم ما في الاعتكاف من لزوم المسجد وترك الأهل، فإذا وقع ما يحتاجه الأهل والزوجة ضروريا فلا بد أن يضطر الزوج للخروج فالأعذار الاضطرارية لا تفسد الاعتكاف، وإن قطعت اعتكافك لأمر أكثر وجوبا فهذا هو الشرع.

وترىٰ في ذلك توافقا واختلاطا واندماجا بين الآخرين، لأنه دين الحياة.

ما أجمل أن يتدرب الإنسان علىٰ الاعتكاف – بعد رمضان– ويتذكر أنه لو دخل هو أو دخلت هي المسجد وجلست تنتظر الصلاة فيمكن أن تنوي الاعتكاف تقربا لله.

حينما تغمر السعادة بيت الزوجية حيثما تطمئن القلوب بذكر الله وتهدأ النفوس بالقرب من الله، ويكون في الاعتكاف درس لترك مشاغل الدنيا حينا حتىٰ تتزود القلوب بما يساعدها علىٰ مواجهة تلك المشاغل.

هي..

حين تأتي العشر الأواخر من رمضان يحط كثير من الصائمين رحالهم في محطة الاعتكاف حيث القرب والتفرغ والانقطاع للعبادة في ليال هي خير ليالي السنة.

وللمرأة نصيب في هذا الاعتكاف وإن كان نصيب الرجل هو الأوفىٰ والأكبر، حيث يستطيع أن يلازم المسجد وحده وهو مطمئن البال علىٰ أطفاله وأسرته حيث تركهم في رعاية زوجه الصالحة التي تشجعه علىٰ الاعتكاف وذكر الله عز وجل.

وأظن أنها لا تقل عنه في الثواب إذ تشاركه فيه لأنها من أسباب تفرغه لهذه السنة الطيبة.. سنة الاعتكاف.

بعض الزوجات يُصَمِّمْن علىٰ الاعتكاف في المسجد وتصحب معها أطفالها وما يلزمهم من طعام وشراب وملابس وقد يتطلب ذلك منها أن تطبخ لهم وتعد طعامها وطعامهم فيتحول المسجد إلىٰ ما يشبه الفندق أو الحضانة! ولا أظن أن ذلك العمل يخدم الاعتكاف والمعتكفين أو يؤدي الغرض من ذلك الاعتكاف، مع ما يكون من ضجيج وصراخ ولعب الأطفال الذين علم الله حالهم فلم يشق عليهم ويكلفهم بعد، ولعل ذلك من أسباب فضيلة صلاة المرأة في بيتها عنها في المسجد.

إن بإمكان المرأة أن تعتكف بإذن زوجها ما دام لا يؤثر اعتكافها علىٰ بيتها ورعاية أولادها وتأدية واجباتها، وإذا كان الاعتكاف سنة فإن رعاية أولادها فريضة لا ينبغي أن تهملها بحجة أداء السنة، خاصة إن كانوا في حاجة إليها.

وهي إن اعتكفت عرفت آداب الاعتكاف فتأدبت بها حتىٰ تنال

نصيبها من الأجر وافيا ولا يكون لها منه فقط الكد والنصب، فأحيانا يقع من بعض المعتكفات أخطاء تنقص من أجر الاعتكاف وتقلل من أثره، حيث يكون اجتماع النساء فرصة لهن للحديث والكلام والسمر والنوم، وربما للشحناء واختلاف الرأي، وما شرع الاعتكاف إلا للتجرد من شهوات النفس والتعود علىٰ لزوم الطاعة وتحلية اللسان بالذكر وتنقية القلب بالفكر وتقوية النفس بالانقطاع عن الدنيا والخلوة مع ملك الملوك عز وجل.

حين يترك الزوج بيته مخلفا من ورائه زوجه وماله وأهله، رسالة له ولمن حوله، توحي أولا بالحب لله المعطي الواهب، حبا فاق حب الدنيا ونعيمها، فلئن كان يحب الدنيا فها هو ينخلع منها، ولئن كان قلبه معلقا بالزوج والولد فها هو يفارقهم بإرادته ولو إلىٰ حين، لأنه الآن في معية من أعطاه إياهم. كما أن ساعات البعد والانقطاع تذكر بيوم يفارق المرء فيه أحبابه رغما عنه. وحين يخرج الزوج من معتكفه طاهرا نقيا يجد زوجه هي الأخرىٰ وقد تطهرت واطمأنت بذكر الله، فيلتقي كلاهما علىٰ هدف واحد ويصبح عونا لصاحبه في هذه الحياة.

❀ ❀ ❀

بين زكاة وزكاة

أنا..

حين أخرج زكاة الفطر أتذكر زوجتي فإنني أخرج الزكاة عنها وعن كل من أعول، وكل نسمة مخلوقة في الأسرة (**لذا تسمىٰ زكاة الفطرة بمعنىٰ الخلقة**) أيضا، وتسمىٰ زكاة الرؤوس حيث تخرج عن كل رأس من البشر.

وهي كما في حديث الرسول ﷺ «**طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين**».

انظر إلىٰ هذه الكتلة الأسرية الواحدة التي ينوب عنها راعي الأسرة ليخرج مالا من جيبه، ليتطهر الجميع من اللغو والرفث.. عجيب تلك العلاقة الوطيدة بيني وبين زوجي.. حرص من الشرع أن تتم المشاركة المالية والمعنوية، فأنا أدفع لتتطهر هي! رغم أن لديها مالها الخاص، ولكني كوني العائل الذي ينفق علىٰ الأسرة، رغم غنىٰ الزوجة، فأنا المسؤول عن إخراج زكاة الفطر عليها.. ما أجمل ذلك.. المال أو الطعام المنفق رمز لوقاية الأهل والنفس من النار! وهنا في هذا الموقف.. طريق لقبول الصيام دون نقص أو شائبة.

سبحان الله.. ما أجمله من تعاون وانسجام!

كما يظهر لي نيابة الأب لإطعام المساكين.. مقارنة لحال اليتامي والأرامل الذين فقدوا العائل، فأوجد الله لهم البديل، وفيه لبقية الأسرة حث علىٰ شكر المنعم الذي أنعم عليهم بعائل يحفظهم من غوائل العوز والحاجة والفقر. وكأني حين أخرج زكاة الفطر عن الجميع، بدلا من أن تخرج الزوجة أو غيرها عن أنفسهم أخرجها باسم الأسرة، ليتجلىٰ التكافل الأسري في المجتمع الكبير.

قارن ذلك بزكاة المال.. التي يجب علىٰ الزوجة إخراجها من مالها الخاص إذا بلغ النصاب، حيث تتمتع الزوجة في الإسلام باستقلالها المالي، فلها أن تحتفظ بمالها الخاص، راتبها في العمل وميراثها، حيث أن زوجها هو المسؤول في الإنفاق عليها من ماله.

وحينما يختلط القلبان بحب عميق، قد يختلط المال عن طيب خاطر، دون منّ أو أذىٰ.

المال في يد الزوجين أداة للخير علىٰ أنواعه، وفي زكاة المال فرصة سانحة للتخفيف علىٰ مشارب كثيرة في المجتمع كما في مصارف الزكاة الثمانية.

ولا أجد صورة تعكس الإسلام حينما يتحكم الرجل في مال

زوجته الخاص، أو أن تنفق المرأة مالها الخاص فيما لا يجدي، أو تمتنع عن مساعدته في أوقات الأزمات، أو يخفي أحدهما عن الآخر مركزه المالي.

ومن ومضات الفقه الإسلامي المنيرة صحة دفع المرأة زكاتها لزوجها إذا كان زوجها فقيرا أو مدينا، بشرط أن تضمن عدم عود هذه الأموال أو عود شيء منها عليها علىٰ شكل طعام أو كساء لأن من صحة الزكاة ألا تعود علىٰ المزكي من ورائها منفعة دنيوية لأنها قربة خالصة لله.. يحدث بها التطهير والزكاة.

وفي شهر رمضان الفرصة ليعبر كل منهما عن حبه للآخر بالتوسعة من طرف والرضا من الطرف الآخر، التوسعة (**خاصة في العيد**) التي تجلب الفرحة ولا تصيب النفس بالإسراف، والرضا الذي يخلق القناعة ولا يصيب القلب بالغفلة.

هي..

حين ينقضي شهر رمضان بأيامه الطيبات ولياليه المباركات يترك لنا العديد من جوائزه التي لن يفوز بها إلا من كان رمضان حقا في بيته قائما، وفي قلبه حاضرا، ومن هنا فإنني أرىٰ هذه المعاني وأتذوق ثمراتها حين أجد زوجي يخرج من ماله زكاة الفطر عنه وعن كل من يعولهم وتلزمه نفقتهم ومنهم أنا، تلك الزكاة التي جعلها الله طهرة للصائم من اللغو والرفث، ومن منا لا

يخدش صيامه أو يجرح، فنحن جميعا خطاءون في كل وقت، ومقصرون حتىٰ في رمضان، ونحتاج جميعا للتطهير الذي يكون في إخراج تلك الزكاة المباركة المطهرة. كما قال الله تعالىٰ ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة:103] .

وها هو الزوج لا يغفل عن أدائها ولا ينسىٰ وقتها، وإنما يخرجها عني سعيدا راضي النفس مستبشرا، فأتعجب من ذلك وأعجب به، وأشعر فيه تكريما لجنس المرأة بوجه عام، ألم تكن هي هي مَن تُحرَم من التملك ويؤكل إرثها ولا يعترف لها بأدنىٰ ذمة مالية، فما بالها اليوم تحتفظ بمالها كله لا تنفق منه علىٰ نفسها ولا غيرها إلا ما جادت به تطوعا، ويؤمر زوجها بإخراج زكاة الفطر عنها، يمحو بها لغوها، إذ يسعىٰ لتطهيرها من أي خطأ أو تقصير وقع منها في رمضان.

إذا نظر الزوجان أحدهما أو كلاهما إلىٰ تلك المعادلة العجيبة الخارقة للعادة، إذ العادة تقضي بأن كل فرد دنس نفسه وأوقعها في أوحال الغفلة والنسيان فخاض مع الخائضين لاغيا لاهيا ولو لعدة لحظات، هو بلا شك مطالب بتطهير نفسه لتنقىٰ، لكن الأمر هنا بالمعكوس، فالزوجة يقع منها اللغو والزوج هو الذي يقوم بالتطهير عنها وإزالة ما علق بها من آثاره.

ألا ترىٰ أن في ذلك صورة جميلة ورائعة لانصهار الزوجين

معا في بوتقة واحدة، وكأنهما جسد واحد، كما أن فيه تقوية لعلائق المودة والصلة بينهما، فالزوجة التي ترىٰ زوجها مسؤولا عن إخراج زكاة الفطر عنها يتأكد لها أنه القيم عليها رعاية وعناية وحماية ونصحا وتوجيها، فتقبل ذلك منه وتراه لا يقلل من قيمتها شيئا إن لم يرفع منها. وهي بلا شك ستبادله نفس الشعور والمشاركة من مالها الخاص إن أصابته حاجة أو مرّ به عوز.

كما أظن أنها رسالة لكل الأزواج والأولياء أن زكوا أنفسكم وزكوا من تحت أيديكم ورعايتكم.. بسعي حثيث منكم دائما للتطهير بالبذل والعطاء والتضحية والإيثار والحب والرحمة والنصح والإرشاد.. تطهير بلا قليل منّ أو يسير أذىٰ.. تطهير لا تشوبه شائبة غلظة ولا تكدره فظاظة أو قسوة.. بل يكون برضا واحتساب.. حينها يشعر الزوج كما تشعر الزوجة أن كلا منهما جزء من الآخر يكمل نقصه ويجبر كسره ويطهر جسده ويستر عيبه ويؤثره علىٰ نفسه.

❀ ❀ ❀

العيد

أنا..

لقد سُمي العيد عيدا «**لأنه يعود كل سنة بفرح متجدد**» وكثيرا ما يحدث في الأسرة –وهو أمر متفهم- أن تُجدد في يوم العيد بعض الهموم والأحزان علىٰ الجانب الأسري أو جانب الأمّة.

حينما يأتي العيد يتذكر المرء يا زوجتي مَن رحلوا من الأحباب والأهل والرحم فتحل الدمعة مكان البسمة! وتلاحقنا مشاكل المسلمين في كل ركن فيحل الهمّ مكان الفرح.

والمعادلة صعبة وإن كانت ممكنة، معادلة تجمع الطرفين، فيظهر السرور، ويخفىٰ الحزن، وإن كان موجودا.

أرجو أن تصفحي عني أعيادا ما استطعت إخفاء ما يشغل القلب.. الآن أعدك أن أفرح لتفرحي!

فعيد الفطر في معناه الشرعي شكر الله علىٰ تمام عبادة الصيام.. ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة:185]. وفي معناه الإنساني التوسعة علىٰ الأهل والفقراء، وفي معناه «**الزوجي**» إبراز الودّ والحب والعاطفة بكلمة مهذبة أو هدية معبرة أو اقتراب فطري.

ولعل ذلك يفهم من حديث أبي سعيد الخدري «**أن النبـي ﷺ نهىٰ عن صيام يومين، يوم الفطر ويوم النحر**» (البخاري). وأخـرج مسلم في صحيحه قول رسول اللّـه ﷺ: «**أيـام التـشريق أيـام أكـل وشرب**»، وزاد في طريق آخر: «**وذكر اللّـه**». وعـن زيـد بـن خالـد الجهني، قال: أمر رسول اللّه ﷺ رجلاً فنادىٰ أيام التـشريق: «**ألا إن هذه الأيام أيام أكل وشرب ونكاح**» (رواه أبو يعلىٰ).

حيث تقتضي حكمة الفرح ألا يمنع الأكل والتوسعة. وبعد أن كان الصوم عبادة، أصبح الفطر عبـادة! قـال ابـن عابـدين: **(سـمي العيـد بهـذا الاسـم لأن لله تعـالىٰ فيـه عوائـد الإحـسان، أي أنـواع الإحسان العائدة علىٰ عباده في كل عام، منها الفطر بعد المنع عـن الطعـام، وصـدقة الفطـر، وإتمـام الحـج بطـواف الزيـارة ولحـوم الأضـاحي، ولأن العـادة فيـه الفـرح والـسرور والنـشاط والحبـور غالبا بسبب ذلك)**.

قالت عائشة ل: رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلك يسترني، وأنا أنظر إلىٰ الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجـرهم عمـر فقـال النبي ﷺ: **(دعهم، أمنًا -من الأمن- بني أرفـدة «لقـب الحبشة»)** أخرجه البخاري في العيدين.

وفي صلاة العيد، انظري كيف حرص الإسـلام علىٰ مشاركة المرأة، لحديث أم عطية قالت: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن**

في الفطر والأضحىٰ العواتق والحيّض وذوات الخدور، فأما الحيّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين..» (رواه مسلم).

هي..

أنتظر أيام العيد كل عام يا زوجي العزيز ليجتمع شمل الأسرة ونسعد بالقرب، ونهنأ بالحب، ونستدفئ بالعائلة.. أنتظره حتىٰ أعيش معك لحظاته الطيبة نتناسىٰ فيها بعض ما يحيط بنا من هموم وما يلفنا من مشكلات، لأخرج منها ولو قليلا من الواقع الأليم الذي تمور به أمتنا، فقد كثرت فيها الآهات وأحاطت بها الملمات، وتعددت ابتلاءاتها وتنوعت. وحينما أنظر حولي وأعيش مع ذلك الواقع أشعر بالحيرة والأسىٰ فمَن أواسِي ومَن أغيث، ومَن أتداعَىٰ من أجله وأدعو له، وأشعر بحاجتنا حقا إلىٰ أيام العيد لنسعَدَ فيه ونُسعِدَ الآخرين.

وحين يقترب العيد ونتجهز لاستقباله بشراء الجديد فلا تنسَ يا زوجي أن نضم إلىٰ أولادنا فقيرا نعفه عن السؤال، أو يتيما نهديه ثوب العيد، أو أرملة ندخل السرور عليها، أو جارا نحسن إليه.

وحينما يأتي العيد أحاول أمامك الهروب من تلك المعاناة التي أشعرها فلا أستطيع! ترنّ في أذنيّ يا زوجي آهات الثكالىٰ

والأرامل، وصراخ المنكوبين، واستغاثات الجرحىٰ، وتساؤلات المشردين، ويقطع نياط قلبي بكاء الأيتام ونشيجهم، أينما يمّمتُ وجهي أرىٰ وجوها تناديني وأعيُنا تلومني، ومطارَدين مقهورين، يستمسكون بي علهم يجدون لهم مخرجا! خيام مهترئة، وقلوب محزونة.. ظهور منحنية، ونفوس منكسرة.. كل ذلك يفقدني لذة ونضارة العيد، فأضحك معك فيه والقلب جريح، وأظهر أمامك السرور والنفس مكلومة.. فسامحني..

وأيام العيد يا زوجي أيام طيبة فيها أكل وشرب وتوسعة، وأنت تفعل ذلك تعبدا لله، كما كنت تصوم له أيضا تعبدا، فعن عمر بن الخطاب ﵁: «**إن رسول الله ﷺ نهىٰ عن صيام هذين اليومين يوم الفطر ويوم الأضحىٰ فأما يوم الفطر فيوم فطركم من صيامكم وأما يوم الأضحىٰ فكلوا فيه من لحم نسككم**». أحاول أنا وأنت أن نتوسع فيه من غير تقتير أو سرف، فإن كنا نظن أن العيد لا يكون عيدا إلا بالإسراف في تناول المباحات من طعام وشراب ولباس ونزهة وزيارة، فإننا لم نفهم المعنىٰ الحقيقي له، ولم نعرف الغرض منه.. فالتوسعة هي المباحة، ولكل من الأهل والأولاد والجيران والمساكين والأرامل والأيتام فيها نصيب، أما الإسراف يا زوجي فهو المنهي عنه، كما أمر النبي ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة**» (سبل السلام، صححه

الصنعاني). فلنقدر لكل حال قدره، ولنشكر الله في يوم العيد بحسن الطاعة والإحسان.

ولولا أن العيد يا زوجي يعود مع تمام العبادة واكتمالها لما فرحت أنا وأنت بالعيد، أحاول أن أخلع علىٰ نفسي قميص الفرحة، وألبس مسوح الفرح، أحاول ذلك في تجهيز طعام طيب تجتمع عليه الأسرة، وفي هدية رمزية تهدَىٰ لأفرادها، في برّ والديّ، وفي عيديّة العيد تُنفَق علىٰ الأولاد.. وأحاول أن أدخل السرور علىٰ قلبك –يا زوجي– ولو بكلمة طيبة ولمسة حانية، وقبلة عرفان أطبعها علىٰ جبينك تحمل معها الوفاء.. وإن يوم العيد يوم التغافر والمسامحة، والتقارب والمصالحة، والحب والمصافحة، والصداقة والمصاحبة، لا مكان فيه لخصام أو شحناء تعكر علينا صفوه، ولا بأس ببعض اللعب المباح والنزهة والزيارة.. «**فإن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا**».

❀ ❀ ❀

مشاعر رمضانية

دكتور أحمد عيسى

الجــوع

نشف الريق، وجف الحلق، وزاغت العين، وتسارَع النفَس، ومد كفيه نحو جبينه يتحسس أماكن الصداع، ثم أنزلها علىٰ بطنه ضاغطا مرة بعد مرة .. إنه الجوع ..

إذا زاد يشل التفكير، ويطفئ الإبداع، ويصبح الجسد خاملا.. ذهب إلىٰ الفراش لعل النوم يغلب الجوع، فكان بئس الضجيع، يقلبه ذات اليمين وذات الشمال ولا يسمع بين صخب المُخ الصامت إلا وشوشات نبضه وقرقرة بطنه.

قام، ليفتح كتابا لعل الصفحات تطوي ما يشعر، فكان يقرأ سطرا ولا يفهم له معنىٰ مع ثقل جبينه وشرود عينبه. قرر أن يتحرك ويمشي خارج البيت فما لبث أن عاد وقد بدا عليه الشحوب، يلهث ولا تساعده قدماه .. فتح التلفاز ليسلي نفسه وينسىٰ ما يحدث في بنيانه من تصدع.. ليجد علىٰ الشاشة أطفالا وكبارا وشيوخا بنيانهم من جلد وعظام، عيونهم غائرة تائهة لا تقدر حتىٰ علىٰ الحزن، وأصواتهم خافته بعيدة لا تقدر حتىٰ علىٰ البكاء .. إنه الجوع الحقيقي، ليس لعدة ساعات كما هو حاله،

وإنما لعدة أيام يموت أثناءها من لا يستطيع المقاومة، ولا تصله الإغاثة.

تسمر في مكانه وقد بدأت أجهزته تتحرك عطفا وشفقة لا علىٰ نفسه ولكن علىٰ هؤلاء. بدأت الدموع الدافئة تنزل من محجريها ولم يشعر إلا بملوحتها وهي تتسلل ببطء بين شفتيه.

لم يعد الجوع يمزق الأحشاء كما كان يفعل.. وإنما هو وخز الضمير..ولوم النفس.. وجاء وقت المغرب والإفطار، وعلىٰ المائدة أصناف الطعام وعلىٰ الأطباق الفارغة النظيفة المعدة لغرف الطعام.. انعكست صورٌ تهتز مع حركة دموعه لهؤلاء الجوعىٰ هناك.. وجوه كالجماجم المكسوة بجلد قديم، وأقدام كفروع الشجر اليابسة الكسيحة، وجلود كأوراق الخريف الجافة المتشققة.. أكل علىٰ استحياء وشعر بالحياة تدب في عروقه، وشعر معها بالحرمان.. حرمان الجوعىٰ الحقيقيين من الطعام، وحرمان أمثاله من الجوعىٰ المؤقتين من أجر إطعامهم.. ماذا لو ذهب نصف الطعام الذي أعدّ – وقد بقي ولم يؤكل – لهؤلاء المحرومين الضعفاء، أشرقت روحه بالفكرة.. وتعلم الحب والرأفة من مدرسة الجوع في شهر الصيام.

❁ ❁ ❁

العطش

تغـوص قـدماه في رمـال الـصحراء وهـو يحـاول المـشي تائهـا يلتفت حائرا وسط فضاء أرضي لا نهاية له.. لا علامة تهديـه، ولا إشارة توجهه.. صحراء قاحلة لا عشب فيها ولا ماء.. رمـال بعـد رمال خلف رمال فوق رمال.

وشعر بلفح الظهيرة حين توسطت الشمس في كبد السماء وبدأ العرق يخرج معه بقايا قوتـه، ومخـزون ريّـه .. وبـدأ الظمـأ يـزداد ويزداد ويزداد...

أيبقىٰ في مكانه ليزداد همه، أم يمشي حيـران بـلا هـدف ليـزداد تعبه؟ أين الطريق.. أين الطريق الذي يهديه .. إلىٰ الماء؟

أين الناس.. لعل أحدهم يرويه، أو يهديه.. إلىٰ الماء؟

أين أدوات الدليل.. لا خارطة، لا بوصلة، لا كتاب..

أصبحت شفتاه كالخشب، ورأسه تغلي من ضربة الـشمس... يمشي.. يقف.. يلتفت.. يعـرق.. يلهـث.. ييـأس.. يرمـي بنفـسه إلىٰ الأرض ويكور جسده ويضع ذراعه فوق عينيه ينتظر الموت.

فجأة يفتح عينيه مندهشا ليرىٰ نفسه راقدا علىٰ فراشه، وقد بلّه عرقه، وتبخر لعابه.. ولكن سرت في جسده قشعريرة الحياة.. إنـه

حيّ.. أخذ ينظر إلىٰ جدران الحجرة ليتأكد من أنه موجود، وحرك أصابع قدميه ليتأكد من وجودها! يا ألله..

أخذ يفكر فيما رآه في منامه...هل الحياة إلا مثل عطش الصائم في رمضان.. ظمآن يتلهف علىٰ الماء، أو حيران يبحث عن الحق! وهناك عطش لماء الحرية، أو ماء الكرامة، أو ماء الحياة، أو ماء الإيمان.

رجع بجسده إلىٰ الخلف وأشعل المصباح، وأخذ يسترجع الرحلة القاسية التي كأنها خلّفت وعثاء السفر وحبات الرمل علىٰ القدمين!

لا بد للظمآن من هداية، وهادٍ، ودليل، وكتاب.. لن يجد وحده الماء في رحلة الحياة، لا يستطيع أن يعيش بمفرده وتكتب له النجاة... إن من يمشي بلا هدىٰ لن يجد في النهاية إلا سراب الصحراء يحسبه ماء ويأتيه ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه فلم يجد شيئا.

رمق من بعيد صورة أسرته علىٰ السراحة ومد يده إلىٰ المصحف الشريف.. عرف كيف يشرب.. علمه عطش الصيام ألا يعيش لنفسه، وأنه لا يستطيع السير في الطريق إلا بالهداية ..

❀ ❀ ❀

القُرب

طبـع الأولاد القـبلات علـىٰ جبينـي وأمهـم توديعـا لنـومهم، وأغلقوا علينا الباب، وأنا لا زلـت أشعر بـدفء تنفسهم وعبير عطرهم ونضارة جلدهم وقربهم من قلبي.. وبـدأ قـرب آخـر مـع شريكة حياتي ممتع وجميل.. وغلبني النوم..

تقلبت في فراشي.. ومددت فلم أجدها.. ونظرت إلىٰ الـساعة الفسفورية فأدركت أن موعد السحور لـم يحـن بعـد.. فأغمضت عيني لأنـام ولكنـه استعـصىٰ علـيّ.. فقمـت لأجـدها سـاجدة في الصلاة طويلا. غمرت سكينة المشهد قلبي، هي في مناجاة أعظـم من همس المحبين الذي كان في أول الليل معها، وفي ذل وإخبات أرقىٰ من تواضع المحبين الذي نتعامل به، وفي حـب فـاق قـصائد شعرها ولوعة رسائلها!

إنه القرب بعينـه.. وقـررت أن أجربـه، فرجعـت إلـىٰ الفـراش! وانتظرت أتحايل كأني نائم إلىٰ أن رجعت وهب نـسيم كأنـه ريـح الجنة حين اقترب وهج جسدها ونامت.. فقمت.

تطهرت وتظاهرت وحدي في عتمة الظلام بالتباكي علىٰ حالي لعلي أصدق في القرب.. وصليت وبدأت بدعاء الاستفتاح لعلـي

أتطهر قبل القرب «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنَقَّىٰ الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد**» (متفق عليه). وسجدت وحاولت، كنت أتمتم «**سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك عليّ، هذي يدي وما جنت علي نفسي**» (أحمد). أحاول أن أقترب بجبهتي وأنفي إلىٰ الأرض أكثر، لأرتفع وأقترب أكثر.. أحاول القرب.. أردد «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**» (مسلم). شعرت بذلّي مرددا «**سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة**» (أبو داود).

حاولت أن أنسىٰ كل شيء وأذكره، وأبتعد عن كل شيء وأقترب منه. كان رأسي علىٰ الأرض وكأن روحي تعرج إلىٰ السماء..

إحساس يساعده قيام ليل رمضان ليتعود المرء علىٰ القرب من الله طاعة وإخباتا.. وأنا في سجودي أتمنىٰ أن يقف الزمان وتتعطل الأوقات ويكون ذلك آخر عمل في الحياة..

رنّ جرس المنبه لإيقاظنا للسحور.. وما لبثت الأنوار أن أضيئت وظهر صوت الأولاد، وصخب أدوات المطبخ وانتهت لحظات القرب!

الفــرح

دخل عليّ زميلي باشّا باسم الثغر تكاد الفرحة ترقص في عينيه، وحينما جلس رأيته رغم ذلك متعبا كأنه لم ينم لليال.. - لقد أنجزت بنجاح المشروع الذي طلبه رئيسي مني في العمل، وهو راضٍ عنه تماما.. قال وهو يمسح عرقه، وأردف: - لقد تعبت كثيرا لإنجازه في الوقت المحدد وبالشروط التي طلبها، ولكن ذلك يهون الآن وأنا أشعر بطعم النتيجة..

ومرت شهور وحلّ رمضان في الصيف بطول نهاره القائظ، وقصر ليله اللزج، يتأفف فيه بعضهم من الجو، ويتكاسل بعضهم عن العمل. ويصومون وهم يتألمون في حزن رغم أنوفهم. ليسوا كعامل البناء الذي يحمل الأثقال في كبد ولكنه يغني ويشعر بالراحة والشكر حينما يقبض (**اليومية**) في آخر النهار.

وكان لي طلب ومصلحة عند صديق قديم اتصلت به لأمرّ عليه في مكان عمله، فطلب مني أن آتي إليه قبل موعد العمل حتىٰ لا أتأخر أنا عن دوامي.

وذهبت إليه فوجدته نشيطا في صباح رمضان يتعود علىٰ قراءة ورده من القرآن علىٰ مكتبه قبل موعد بداية العمل، ويبادر في

إنجاز مصالح الناس بحيوية وحماس وإتقان، لا يلهيه حَرّ ولا تعب عن ذلك..

خرجت من عنده، وأنا أتأمل حالي وحال صديقي القديم هذا، وحال زميلي.. كلنا عمال..فزميلي غسلت فرحته بإنجازه العمل ورضا رئيسه كل ما علق بنفسه من تعب ونصب، وصديقي يتقن عمله حتىٰ دون أن يراه رئيسه.. ألست أنا أيضا في صيامي العابد العامل بأمر الله؟

متىٰ يصبح برد العبادة عندي ألطف من المكيف الحديث، وحلاوة الإيمان تهيمن علىٰ مذاقات الإرهاق المُرّة؟

هل شعرت معي مرة بالراحة النفسية والرضا وأنت تفطر في نهاية يوم طويل حار، ويسري في عروقك بلل الماء وفرح الطاعة، والاستبشار برضا المعبود؟

وجاء عيد الفطر.. ودعوتهما.. زميلي وصديقي لنفرح معا بإكمال العدة والمهمة والتكبير شكرا.. نظرت إليهما وأساريرهما تقطّر بهجة.. رأيت فيهما الفرح بإنجاز العبادة.. ليست عبادة الصيام وحدها، وإنما عبادة إتقان العمل، والإحسان فيه.. وبمثل هؤلاء الناس تفرح الأمة.

❀ ❀ ❀

رمضان ليس لهذا!

إيمان مغازي الشرقاوي

رمضان ليس لهذا!

كثرة الطعام

هل تخيلت أو رأيت مصنعا كبيرا يعمل ليل نهار لا يتوقف عن عمله طرفة عين، تدور آلاته وأجهزته المعقدة كلها بلا استثناء وتعمل وحدها بانتظام وإتقان كما أراد صانعها، دون شكوىٰ أو ضجيج أو ملل؟!

وهل سمعت عن شاحنة تسير علىٰ الأرض، أو طائرة تشق السحاب، أو سيارة تجري في البر، أو سفينة تمخر في البحر، وذلك طول الحياة بلا توقف؟

لا تتعجب من ذلك فهكذا خلق الله تعالىٰ الإنسان، خلقه بجسم معجز وأجهزة دقيقة، جعلها مسخرة لخدمة الإنسان لا تتوقف عن عملها المقدر لها، وأودع في ذلك الجسد الضعيف روحا هي سرّ الحياة لا يعلم كنهها إلا هو سبحانه، ولا تنفصل عن أي بدن إلا بالموت. لذا فقد أمرنا بالمحافظة علىٰ صحة تلك الأجسام وسموّ أرواحها، وجعل لها محطات تنقية ووقود علىٰ مدار العام في مناسبات مختلفة حتىٰ تستطيع مواصلة السير في رحلة الحياة، وفيها تشحذ الهمم وتقوىٰ الأرواح، ويثبت الإيمان

ويزيد اليقين، وتزهر النفس وتصفو، ومن أهم تلك المحطات وآكدها وأفضلها على الإطلاق شهر رمضان المبارك.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:183].

لقد شرع الله تعالى الصيام علينا لحكم كثيرة وفوائد جليلة، إن لم يكن فيه غير التعبد لله المنعم بالحياة، الواهب للصحة والمال والمطعم والمشرب لكفى بذلك حكمة، ولو لم يكن إلا راحة بطوننا وأجسادنا من العمل الدؤوب طوال العام بلا توقف لكفتنا فائدة، فما ظننا إن أضيف إلى ذلك تهذيب الروح وتأديب النفس وكبح جماح الشهوات التي جبل الإنسان عليها ابتلاء وتمحيصا.

وللأسف فإن بعض الناس يظن أن شهر رمضان يعني كثرة الأكل وتنوع الطعام، وأخذ جرعات زائدة منه عند الإفطار، وظنوا أن الصيام طوال النهار ربما يكون شفيعا لهم في الإسراف في تناول والتهام كميات كبيرة منه، بل وربطوا شهر الصبر بأنواع خاصة من المأكولات هي في الأصل ثقيلة على المعدة أيام الإفطار فما الحال مع الصيام، وقد جعلوا بينه وبينها علاقة وثيقة فتحولت إلى عادات لا يستطيعون البعد عنها أو الفكاك منها!!

حتىٰ أصيبت بطوننا بالتخمة وأجسادنا بالسمنة، ولحومنا بالترهل، وعظامنا بالهشاشة من ثقل البدن الملقىٰ علىٰ كاهلها، فهاجمتنا الأمراض المختلفة، وأصيبت تلك الأسر بداء الإسراف الممقوت، والترف المذموم، والنتيجة غير ما ذكر هي الحساب من الله تعالىٰ علىٰ ذلك، في يوم عظيم آت لا ينفع فيه مال ولا زوج، ولا أهل أو بنون.

الاقتصاد نصف المعيشة..

إن المرأة مسؤولة أمام الله عز وجل عن كل ما تعمل، وهي زوجة كانت أو أما، بنتا أو أختا محاسبة بلا شك، وعليها يقع العبء الكبير في القيام بشئون الأسرة من حيث ترشيد الإنفاق علىٰ ما يلزمها من طعام وشراب وغيره، وهذا جزء من تلك المسؤولية التي ذكرها الرسول ﷺ في قوله: «**والمرأة راعية علىٰ بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**» (متفق عليه). لذا فقد ذكّرنا الله تعالىٰ بالواجب في هذه الحال فقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:31]. **(قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سدّ الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلا وشرعا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس)**.

أما رب الأسرة وقيمها (**الرجل**) فهو الآخر مسؤول، كما قال

النبي ﷺ: «**والرجل راع علىٰ أهل بيته وهو مسؤول عنهم**» (متفق عليه). فعليه أن يعين زوجته علىٰ ما يصلح الأسرة ولا يوقعهم في الإسراف، لذا فلا ينبغي أن يطالبها بكل أنواع الطعام ويلومها إن لم تفعل، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت**» (ابن ماجه). وهناك من الأزواج من يظن أن ذلك واجبا علىٰ المرأة ويفتعل الخلافات والمشكلات مع زوجته إن لم توافقه، بل ويكلفها فوق طاقتها ويزحمها بضيوفه الذين يستضيفهم كل يوم في الشهر الفضيل، وتكون النتيجة أن تمكث المرأة طيلة الشهر المبارك مصاحبة لمطبخها نهارا منهكة القوىٰ ليلا مما يضيع عليها فرصة اغتنام ليالي رمضان التي لا تعوض، وحجة الجميع أن إفطار الصائمين عظيم، نعم هو عظيم لكن الإسراف مذموم، لأن من وراء أي إسراف حقا مضيعا، والاقتصاد والتوسط مطلوب في كل الأحوال، وإفطار الصائم يحصل بلا عظيم تكلف، يحصل ولو علىٰ مزقة لبن أو جرعة ماء كما علمنا رسولنا ﷺ. فهلا رأف الزوج بزوجته فلم يرهقها؟ وهلا أعْفت الزوجة زوجها من إسرافها وتبذيرها فلم تفلسه؟ وهلا اتخذا معا شعارا من قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[الفرقان:67]. ومن قوله ﷺ دواء لهما: «**ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم**

أكـلات يقمـن صـلبه، فـإن كـان لا محالـة، فثلـث لطعامـه، وثلـث لشرابه، وثلث لنفسه» (الترمذي).

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾..

المـرأة المسلمة لا تسرف في الوقت الخاص بإعداد الطعام عامة وفي رمضان خاصة، ولا يكون رمضان بالنسبة لها موسما للتباري في صنع الأنواع المختلفة من الأطعمة، بل تعد منه حاجتها في أسرع وقت، وتحتسب أجرها عند الله وتنوي بذلك وجهه، وتحذر الغرق في بحر الإسراف، الذي تعددت ألوانه هو الآخر، ومن ذلك:

* الإسراف في وقت التسوق لشراء طعام الفطور، الذي يترتب عليه التعب والإرهاق، والانشغال عن الأوراد القرآنية والأذكار اليومية.

* الإسراف في الوقت المحدد لطهي الطعام والانشغال بتجهيزه وقت الإفطار ووقت السحور فتضيع الأوقات الفضيلة حيث ساعة الإجابة والدعاء.

* الإسراف في عمل كميات وأنواع مختلفة من الطعام فوق حاجة أفراد الأسرة، وتكون النتيجة إلقاء ما يتبقىٰ من طعام الفطور مع الفضلات وكان الأولىٰ بها جار أو مسكين أو فقير، أو أكلها في اليوم التالي.

* الإسراف في ترتيب مائدة الإفطار الذي ينتج عنه تأخير صلاة المغرب من المرأة بحجة إطعام الضيوف أو أفراد الأسرة.
* الإسراف في تناول الطعام وقت الإفطار وتناول الحلوىٰ بعده حتىٰ التخمة، وما يتبع ذلك من خمول وتكاسل عن أداء صلاة التراويح.
* الإسراف في الانشغال عن الدور التربوي للوالدين مع الأبناء بحجة الصيام وعدم الوقت، وقد كان الأولىٰ اغتنام تلك الفرصة التربوية الرائعة والدروس العظيمة المستفادة من الصيام.

قيل في قلة الأكل.. وكثرته..

(قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ أي في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يثقل المعدة، ويثبط الإنسان عن خدمة ربه، والأخذ بحظه من نوافل الخير. فإن تعدىٰ ذلك إلىٰ ما فوقه مما يمنعه القيام بالواجب عليه حرم عليه، وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه.

وقالوا: في قلة الأكل منافع كثيرة: منها أن يكون الرجل أصحّ جسما وأجود حفظا وأزكىٰ فهما وأقل نوما وأخف نفسا. وفي كثرة الأكل كظ المعدة ونتن التخمة، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل. ومن الإسراف الأكل بعد الشبع. وقيل: إن القلب لما تنور بنور التوحيد نظر إلىٰ الطعام بعين التقوّي علىٰ الطاعة، فأخذ منه قدر

الحاجة، وحين كان مظلما بالكفر كان أكله كالبهيمة.

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعا فوق شبع، فإنك إن تنبذه للكلب خير من أن تأكله) (تفسير القرطبي- سورة الأعراف آية 31).

وقال: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

صحتك أمانة فحافظ عليها..

(ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا. فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31].

فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب. فقال علي: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة. قال: ما هي؟ قال: «**المعدة بيت الأدواء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته**». فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طب) (تفسير القرطبي).

عملية حسابية بسيطة!

إنها عملية بسيطة وسريعة يستطيع كل فرد أن يجريها في ذهنه ويخرج بالنتيجة في الحال.. لقد تعودنا منذ الصغر أن نأكل ثلاث

وجبات في اليوم أليس كذلك؟ إنها وجبة الإفطار، ووجبة الغداء، ثم وجبة العشاء، فهي ثلاث وجبات في اليوم، والبعض القليل يأكل وجبتين فقط . أما في شهر رمضان فمن المتوقع أن تقل عدد الوجبات من ثلاث إلىٰ اثنتين إحداهما خفيفة ربما كانت علىٰ جرعة ماء وهي وجبة السحور.

تُرَىٰ ماذا يحدث لو أن كل مسلم قدّر ثمن تلك الوجبة التي يسقطها الصيام (**الوجبة الثالثة**) وهي الوجبة الزائدة في غير أيامه فادخر قيمتها؟ فلو علمت كم عدد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وضربت ذلك العدد في متوسط الوجبة المتوفرة بالصوم، لكانت النتيجة عجبا، قد ندخل بثمنها الفرحة علىٰ قلوب كثير من الأيتام، وقد نطعم بها عددا غير يسير من الفقراء، أو نكفل بها من لا عائل لهن من الأرامل، وقد نصل بها فقراء ومساكين نجدهم من أرحامنا وفي أسرنا، وقد .. وقد .. وقد.. لكن للأسف نستهلك في رمضان أضعاف ما نستهلكه في غيره، وهو شهر الجوع، وشهر الصبر، ألا ترىٰ أنها مفاهيم تحتاج لصياغة جديدة، وتصحيح جدّي، ووعي ناضج، ومعرفة حقيقية نعلم بها الحكمة العظيمة من الصيام، ونوقن تمام اليقين أن رمضان ليس لهذا!

رمضان ليس لهذا!!

كثرة النوم

مع كل إشراقة شمس وشروقها تدب الحياة في الكون من حولنا، ويقوم الناس للسعي لمعاشهم وتحصيل أرزاقهم التي كتبها الله تعالىٰ لهم، فقد عرف الناس أن الرزق بيد الله تعالىٰ وأنه لا يأتي دون سعي أو تحصيل، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، لذا فهم يجدّون في طلبه بشتىٰ الطرق، ما بين مقتصد ومفرط، فمنهم من هداه الله تعالىٰ فلا يطلبه بمعصية أو محرم، بل بالطرق المشروعة المباحة فيهتدي للخير ويرزقه الله حلالا طيبا مباركا، ومنهم من يتهاون في تحري حلاله من حرامه فلا يبالي أمِن طيب أو خبيث جاء، فيمحق الله بركته وإن بدا رأي العين كثيرا! وهناك صنف ثالث ظن أن الرزق سيأتيه دون سعي منه، وسيطلبه دون طلب له، وسيلحقه من غير عمل أو كدّ، فنام مع النائمين، ولم يسلك سبيل العاملين، وتمنىٰ علىٰ الله الأماني! لكنه في نهاية يومه خاب ظنه وضاع أمله وفات رجاؤه، كيف وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:15].

إن هذا الصنف الثالث المتواكل يذكرنا بمن طلب الجنة بلا عمل، وتمنىٰ رضا ربه ومولاه وقد أغضبه، وأراد الحصول علىٰ أوسع الأرزاق والخير وقد توانىٰ وكسل في تحصيلها، وحين فتحت أسواق تلك الجنات، وجاءت مواسمها المربحة، وهبت رياحها الطيبة لم يتعرض لها ولم يسعَ لنيل رزقه وحظه من نعيمها، بل كان مع الكسالىٰ والنائمين، فتأنّىٰ وتمنىٰ، وقصّر وسوّف، وتلكّأ وتأخر، وبدّد وقته، وأتلف صحته، وأضاع عمره، ففاته أجود ما فيها من الخيرات، إذ أن طاعة الله رزق، ومحبته رزق، ورضاه رزق، وحب الخير رزق، والجنة كذلك رزق بل هي الرزق كله، ولا تنال إلا برحمة الله تعالىٰ التي يكتبها للمؤمنين المتقين العاملين كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:156]، والإيمان كما قال النبي ﷺ: «**ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**» (أبو داود).

وقتك عمرك.. فلا تكن قاتلا !!

يقول ابن القيم الجوزية (**في كتاب الجواب الكافي**): «**وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة عيشته الضنك في العذاب الأليم. وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك**

ليس محسوبا من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير من حياته».

إن كل ساعة تمر علينا هي محسوبة من أعمارنا، لذلك فكل الناس يندمون ويتحسرون علىٰ ضياعها ولكن بعد فوات أوان الانتفاع بها حتىٰ أهل الجنة أنفسهم يتمنون المزيد من العمل الصالح ويتحسرون علىٰ ساعة خير فاتتهم، كما قال ﷺ: «**ليس يتحسر أهل الجنة علىٰ شيء إلا علىٰ ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها**» (الطبراني).

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك وتعاونوا علىٰ استغلال أوقاتهم وتواصوا بحفظه، فكان معاذ رضي الله عنه يقول للرجل من إخوانه اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله تعالىٰ ويحمدانه، وكان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال تعال نؤمن ساعة إن القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانها.

إن مَن قتل وقته بتبذيره فيما لا يفيد كقاتل نفسه بلا آلة وذابحها بغير سكين! ومضيعه كمضيع نفسه، وهل هو إلا ساعات وأنفاس معدودات يفنىٰ بفنائها، ويموت بموتها، وينقضي بانقضائها؟! فاحذر أيها الصائم أن تكون قاتلا لنفسك

بهذه الطريقة السهلة الميسرة فتهلك وتكن من الخاسرين.

كلمات صادقة..

إنها كلمات طيبات تساعد علىٰ سلوك طريق السعي والعمل الجاد المخلص كما أنها دعوة لاغتنام الأوقات، جاءتنا علىٰ لسان من عاشوا عصر النبوة، وتعلموا علىٰ يد خير البرية نبينا محمد ﷺ، فمنه أخذوا وعلىٰ طريقه ساروا فوصلوا. فها هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه يقول: «**أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع منكم أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهمو«لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**»، ويضيف ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: «**إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع**». أما أبو الدرداء رضي الله عنه فإنه يبين علامة الخيرية فيقول:«**إن خيركم الذي يقول لصاحبه: اذهب بنا نصوم قبل أن نموت، وإن شراركم الذي يقول لصاحبه: اذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت**») (منتقىٰ حياة الصحابة للعلامة الشيخ الكاندهلوي).

لذا فقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد

إيمانـًا، فيذكرون الله تعالىٰ.

سوق الجنة.. والتجارة الرابحة..

وفي شـهر رمـضان تكـون التجـارة الرابحـة بـين العبـد وربـه، ويكـون بيـع المـؤمن فيهـا رابحـا ونـصيبه وافيـا، حيـث تـضاعف حسناته وتربو أعماله، لذلك فإن علىٰ الصائمين أن يعرفوا فضيلة هذا الشهر المبارك وأن يغتنموا لحظاته وساعاته وهـذا مـا يفعلـه المؤمن الكيس الفطن. وإن كان بعـض الـصائمين لا يـدرك ذلـك الفضل فيأتي عليه النهار كله وهو نائم، خشية التعب من الصيام أو الإحساس بالجوع، ومنهم من يأخـذ إجازتـه مـن العمـل في شـهر رمضان لا ليصوم ويتهجد، أو يعتمـر ويـذكر الله كثيـرا، بـل للنـوم الطويـل والراحـة الزائـدة، ومـشاهدة المسلـسلات التـي تبـث في الشهر الفضيل، أو لمتابعة الفوازير المنسوبة إليه، أمَا علم هؤلاء أن الجنـة سـوقها كبيـر يحتـاج لوقـت طويـل مـن الـسعي والـسير للوصول إلىٰ بابه، كما أنه يحتاج إلىٰ التبكير والإسراع في الذهاب إليه، ومن ثم التجول في أروقته ونيل ما تشتهي النفس من خيراتـه وذلـك بالتأكيـد لـن يكـون إلا بعـد دفـع الـثمن المطلـوب مـن المـشتري.. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾[التوبة:111].. وأنّىٰ لنائم أو غافل أو كسول أن يحصل علىٰ نصيبه من هذا الخير وقد ترك البكور والسعي إليه بل نسي أن فيه بركة ورزقا حسنا بـدعوة رسـول الله ﷺ «**اللهـم**

بارك لأمتي في بكورها» (الترمذي). لكنه تحول نهاره إلىٰ ليل وانقلب ليله إلىٰ نهار، ففاته سوق الجنة! ولا يخفىٰ عن ذي لب ما يترتب علىٰ ذلك من تضييع للعبادات المطلوبة من الصائم نهارا كالصلاة في وقتها وقراءة القرآن، وتدارس العلم، وبر الوالدين، ورعاية الأهل، وطلب الرزق، والسعي في حوائج الناس.

وكذلك يفعل بعض الشباب حين يجهلون الحكمة من شهر رمضان والثمرة من صيامه، فيدمنون اللعب علىٰ الألعاب الإلكترونية لوقت طويل، ويكثرون من السهر أمام شاشات الفضائيات وشبكات الإنترنت وصفحات الفيسبوك، فيضيع جهدهم ووقتهم هباء وهم أمل هذه الأمة وحاضرها ومستقبلها، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول الحسن البصري: «**عجبا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم علىٰ آخرهم وهم قعود يلعبون**».. وقد كان من الأفضل لهذا الصائم أن يستيقظ كعادته مبكرا ويستعين بنوم القيلولة علىٰ الصوم وقيام الليل، وأيضا ينام مبكرا ليتيسر له الاستيقاظ في ثلث الليل الأخير للصلاة والدعاء والسحور، وأن ينتهز الفرصة في رمضان ويجدّ فيها ويتزود منها، ولا يكن نؤوما كسولا.. ولو أدىٰ ذلك لترك بعض المباحات والأعمال والعادات التي كان يمارسها قبل رمضان، فإن رمضان ليس لهذا!

رمضان ليس لهذا!

المسلسلات.. والفوازير..

هيا بنا نسلي صيامنا.. النهار طويل.. تعال نخفف من وطأة الجوع ونحدّ من شدة العطش.. إن تلك الكلمات قد تقال فعلا من بعض الصائمين حرصا منهم علىٰ قضاء وقت صيامهم وجوعهم بأقل إحساس بهذا الجوع، فهل تظن أنت أيضا مثلهم أن صيام رمضان هو فقط مجرد الإمساك عن الطعام والشراب في نهاره ولنعمل خلاله ما شئنا ولنقض أوقاتنا فيما أردنا، فما الحكمة إذاً من الصيام وما المزية التي اختص بها ذلك الشهر الكريم.. إن كثيرا من الناس للأسف يقضون شهرهم الفضيل كغيره من الشهور إن لم يكن أقل، وظنوا أنه لا حرج علينا أن نقطع عن أنفسنا الإحساس بالجوع والعطش في نهار رمضان بقتل الوقت أمام شاشات التلفاز وتبديده بين أروقة القنوات الفضائية التي لا زال كثير من المشرفين والقائمين عليها لا يدركون أهمية هذه الثغرة التي يرابطون عليها، ومدىٰ المسؤولية الملقاة علىٰ عاتقهم التي خولهم الله تعالىٰ إياها، وأنهم سيسألون عنها بلا شك أمامه سبحانه في يوم عظيم يسأل فيه المرء عن الفتيل

والقطمير وعن الصغير والكبير، وطوبىٰ لعبد جعله الله تعالىٰ سببا في هداية الآخرين ورفع الجهل عنهم بدلالتهم علىٰ الخير و«**الدال علىٰ الخير كفاعله**» (الطبراني).. ويكون ذلك بحسن تعليمهم والحفاظ علىٰ هويتهم ودينهم، لا بتضييع أوقاتهم وإثارة غرائزهم الكامنة فيهم والتي كان من حكَم الصيام تهذيبها، ألم يأمر النبي ﷺ من لا يستطيع الزواج بالصوم وقال «**فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» (أحمد). لكننا وللأسف ابتلينا بهذا الكمّ الهائل من القنوات الفضائية، وقليلة هي تلك القنوات الحريصة علىٰ تقديم المادة التي تتناسب مع الشهر الفضيل، حتىٰ صارت معظم المسلسلات لا تبث لأول مرة إلا في شهر رمضان وحتىٰ نسبت أنواع من الفوازير إلىٰ اسم الشهر الكريم وهو منها براء إذ تجد فيها الرقص والراقصات والعري والعاريات، والركض والراكضات كل ذلك علىٰ مرأىٰ ومسمع من الصائمين والصائمات، وما علموا مقام السيادة التي تميز بها رمضان علىٰ سائر شهور العام، فهو كما قال ﷺ: «**سيد الشهور شهر رمضان**» (البزار).. فهل يعامل السيد كغيره، وهلا أعطينا هذا الشهر العظيم حقه من التوقير والتبجيل؟

دعوة للتسلية في شهر رمضان!

لقد حمّلنا الشهر العظيم فوق ما يتحمل، وازدحمت ساعات

نهاره بل ولياليه بما لا يتسع، فهذه برامج تدعوك وتناديك لتتسلىٰ معها في النهار، وهذا مسلسل وقت الظهيرة، وذاك ساعة الإفطار، وتلك فوازير بعده، وهذا برنامج كوميدي لنضحك، وهذا وهذا.. والصائم أمام كل ذلك يقف متحيرا لا يدري ماذا يفعل وماذا يرىٰ وماذا يترك، لقد اختلطت عليه الأمور وكثرت أمامه المغريات وهي تدعوه ليتخفف من صيامه! أما هو ففي صراع عنيف وحرب ضروس مع نفسه التي بين جنبيه وهواه الذي يطارده ووساوسه التي لا يستطيع الفكاك منها إلا من رحم ربك، وكان الله في عون شبابنا وفتياتنا، إذ أنه من المتوقع أن تكون المسلسلات المبثوثة في الشهر الفضيل تحمل بين مشاهدها ما يقوي العزيمة وينمي المراقبة ويربي النفس ويساعد علىٰ القيام بمتطلبات رمضان من تلاوة وذكر وصلاة وقيام وإحسان للأرامل وكفالة للأيتام وغيره من أمور البر وأعمال الإحسان، فإن كانت كذلك فبها ونعمت وشكر الله سعي القائمين عليها وأثابهم من فضله، لكن للأسف هناك من المشاهد ما يؤجج شهوات الشباب ويزيد منها ويشعل فتيلها بما تحمل من مادة الإثارة والإغراء التي تتخللها خلسة إذ يفاجأ المتفرج بمشهد أو صورة من تلك المشاهد المثيرة وهو يتابع المسلسل بأمان تبرز بغتة وكأنها له بالمرصاد كعرض لقطة مثيرة لزوجة ترقص لزوجها بعد زواجهما (في المسلسل)، أو

موقف لفتاة تحب شابا وتبثه مشاعرها أو العكس، أو عروس تزف لعريسها في حفل صاخب، بالإضافة إلىٰ تبرج الممثلات المغالىٰ فيه حيث يظهرن في أكمل زينة، وملابسهن التي تعرض مفاتن البدن وتجسده، يظهر كل ذلك رغم حيوية القصة وواقعيتها ومناسبة موضوعها ومعالجتها لبعض القضايا الاجتماعية التي نعيشها، ونحتاج حقا للتوعية برؤيتها، وغالبا ما تكون تلك المشاهد وقت الإفطار أو بعده بقليل فهل بثها بعد الإفطار يشفع للشاب وغيره في رؤيتها، وهل غض البصر يطلب منا فقط في النهار أثناء الصيام؟!

زنا العينين النظر..

إن غض البصر صار مطلوبا بشدة في هذا العصر حيث المغريات الكثيرة تحيط بالشباب والكهول داخل البيوت وخارجها بسبب انفتاح العالم علىٰ بعضه من خلال أدوات الاتصال من دش وتلفاز وإنترنت، حتىٰ صار كقرية صغيرة يستطيع الجميع التجول في طرقها وشوارعها بلا استثناء، مما أدىٰ إلىٰ اختلاط الخبيث بالطيب، خاصة بعد امتلاك معظم الأسر لأدوات الانفتاح والإثارة تلك، وعدم الوعي والإدراك الكافي عند التعامل معها، فأثر ذلك علىٰ علاقة الأزواج بزوجاتهم وأهليهم وأصابها بنوع من الجمود، وظنت بعض الفتيات من

خلال ما تراه وتقتدي به أن الزواج متعة لا مسؤولية، وأنه غاية لا وسيلة، فلتدركها ولو بالنظر أو الكلام فعرفت كيف تحادث الشباب وتبثهم الغرام لتنال فارس أحلامها الموعود، وذلك كله قد صار بعد غياب دور الأسرة وتقصيرها في تنشئة أبنائها علىٰ العلم والتفقه في الدين والتخلق بأخلاق الإسلام الراقية، وتقلصه بعد مشاركة وسائل الإعلام لها في هذا الدور الحساس، ومن هنا فإنه قد يتعذر علىٰ الكثير أن يغض بصره بلا جهاد لنفسه طويل طويل، وصدق نبينا العظيم ﷺ حين قال: «**كتب علىٰ ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**» (مسلم). وكما جاء في شرح هذا الحديث تظهر خطورة إطلاق النظر، فقوله: «**زنا العين النظر**» يعني أن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوىٰ فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر علىٰ الاحتراس منه. وإسناد الزنا إلىٰ العين لأن لذة النكاح في الفرج تصل إليها. قال الغزالي: (**ونبه به علىٰ أنه لا يصل إلىٰ حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكرة وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها، وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي إلىٰ الكبيرة**

الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر علىٰ غض بصره لم يقدر علىٰ حفظ دينه).

ومن هنا كان الواجب علىٰ كل مسلم اتباع الهدي النبوي «**لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة**» (الترمذي).

مقاهي الإنترنت.. والفضائيات..

ومما يقع فيه بعض الصائمين الجلوس علىٰ المقاهي في هذا الشهر الكريم لاحتساء الشاي أو القهوة وشربه مع (**الشيشة**) علىٰ أنغام الأفلام والمسلسلات الرمضانية كما يقولون، فيوأد الوقت نهارا بعد ولادته، ويُقتل ليلا خفية وخلسة في الظلام، وربما قال قائل منهم لزوجه إذا أنكرت عليه لقد صليت التراويح! ومثل تلك المقاهي مقاهي الإنترنت التي صارت منتشرة بشكل كبير في كل مكان وهذا لا بأس به فواجبنا نحو العلم كبير لكن المشكلة هي عدم ترشيد استعمالها وتحديد ما يجوز منها وما لا يجوز، ولا يخفىٰ ما فيها من مواقع إباحية قد تذهب بدين الفتىٰ ومروءته، ولا يليق لمسلم فضلا عن صائم أن يحدث نفسه بالدخول إليها، وقد يمتد الجلوس فيها حتىٰ السحور وربما الفجر، أين روادها من عمارة المساجد ومن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ

﴿ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة:18] .. وأين هم من أوقات التنزل الإلهي التي ذكرها رسول الله ﷺ في قوله: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**» (البخاري).

بل ما مكانهم من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، حتىٰ ينالوا بشارة القرب من مولاهم وملكهم العظيم كما جاء في الحديث القدسي الذي يقول الله تعالىٰ فيه: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**» (البخاري). وكيف حالهم مع ملائكة الله الأطهار حين تفتقدهم بين المصلين، الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**» (البخاري).

وقت رمضان أثمن من أي شيء..

إن ضياع الأوقات ضياع للأعمار.. وأنت أيها الصائم إنما

تتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بصيامك، وجزاؤك عند الله عظيم، كما يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي**» (البخاري)، فلا بد أن تجعل لك من صومك وقاية تقيك وتحميك من الوقوع في الإثم، وقد أعطاك الله تعالىٰ عينين وحباك بأذنين، فإذا جاء رمضان وصمتَ صامتْ معك هي الأخرىٰ لأنها مسؤولة ومحاسبة. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:36]. وهي إما شاهدة لك يوم القيامة أو عليك، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت:20]. وإن وقت رمضان أثمن من أن تضيعه أمام شاشات التلفاز، فالإسراف مذموم حتىٰ في المباحات، ألم تر أن الأكل مباح لكن الإسراف فيه محرم واللباس مباح ويحرم الإسراف فيه، وإن كان لا بد من النظر لبعض منها فلا تصرف جل وقتك فيها، بل انتق منها النافع والمفيد بلا إسراف واحذر من إطلاق بصرك فيقتلك، فقد قال ﷺ: «**إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركه مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه**»(الطبراني). وقد أمر الله تعالىٰ كل مؤمن ومؤمنة بالغض من البصر إذ أن فيه حفظا للفروج وعفة عن

الحرام فقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور:30،31]. وإذا ما وقع نظرك فجأة علىٰ عورة فاصرفه فعن جرير قال: سألت رسول الله -ﷺ- عن نظرة الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**» (أبو داود). وقال:«**ما من مسلم ينظر إلىٰ محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها**» (أحمد).

۞ ۞ ۞

رمضان ليس لهذا!

التسَوّق

لقد أوشك ضيفنا الحبيب رمضان أن يودعنا علىٰ وعد بالمجيء في العام المقبل بإذن ربه ومولاه العظيم، وها هي نفحاته المباركات تتنسمها القلوب المؤمنة في عشره الأواخر من أيامه المعدودات، ومع إرهاصات رحيله عنا بمجيء العشر ووصول ضيفنا الطيب إلىٰ الثلث الأخير من محطة الرحيل حيث يتركنا ويودعنا بعد تمامها، لا نجد ما نتصبر به ونتعزىٰ لفقده وقرب سفره إلا بتلمس تلك الليلة المباركة وتحريها والبحث عنها بين لياليه العشر الأخيرة تلك، وقد حباه الله بها من بين سائر الشهور، وها هو عن قريب سيشد رحال عودته وينهي رحلته، لكن ذلك الرحيل لن يكون إلا بعد أن تشرف الأرض والسماء بقدوم هذه الليلة العظيمة القدر.. ليلة القدر.. التي فضلها الله تعالىٰ علىٰ سائر ليالي العام، وجعل العمل فيها والطاعة خيرا من ألف شهر قد تكون هي عمر الإنسان.

لا تنسَ.. أنك في العشر الأواخر من رمضان..

وحتىٰ لا ننسىٰ أننا في العشر الأواخر من الشهر الفضيل

علينا أولا دعاء الله تعالىٰ أن يعيننا علىٰ حسن اغتنامها وتلمس ليلة القدر فيها وأن ييسر لنا ذلك، وأن يجعل الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، أما ما يكون من أعمال تشغل وتلهي عنها وخاصة الذهاب إلىٰ الأسواق والمبالغة والغلو في نظافة البيت فإن علينا تحري الأفضل والأصلح لديننا ودنيانا، ومن استمع إلىٰ قوله ﷺ «**أحب البلاد إلىٰ الله مساجدها وأبغض البلاد إلىٰ الله أسواقها**» (مسلم)، لن يكون منه إن كان رجلا إلا أن يلزم بيت الله في هذه الأيام الأواخر بالاعتكاف أو الصلاة والذكر والعبادة، وإن كان امرأة فبالاقتصاد في ارتياد الأسواق والذهاب إليها للضرورة وعدم ارتيادها إلا لحاجة، لما في ذلك من ضياع للأوقات فيها وإسراف في الإنفاق وتزيين للحياة الدنيا في النفوس والتعلق بها.

فالمساجد (**أحب البلاد إلىٰ الله**) لأنها بيوت الطاعات وأساسها علىٰ التقوىٰ، والأسواق محل الغش والخداع والأيمان الكاذبة والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه، والمساجد محل نزول الرحمة، والأسواق ضدها. والمساجد تذكر بالله والأسواق تذكر بالدنيا، لذلك يقول النبي ﷺ: «**إن هذه السوق يخالطها اللغو والكذب فشوبوها بالصدقة**» (النسائي). ويقول للتجار: "**يا معشر التجار إن الشيطان والإثم يحضران البيع**

فشوبوا بيعكم بالصدقة " (الترمذي).

ومن هنا نجد أنه ﷺ كان إذا دخل السوق قال: «**باسم الله، اللهم إني أسألك من خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة، أو صفقة خاسرة**» (لطبراني).

وعلمنا أن نقول عند دخولها: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير**» (الترمذي). ووعد من يذكر الله عند غفلة الناس أمام زخرف الدنيا والانشغال بها وعده بالأجر العظيم فقال: «**من قال في السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنىٰ له بيتا في الجنة**» (الترمذي). فالمسلم لا يلهيه عن ذكر الله شيء، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ كما علمهم في مدرسته، فعن أبي سعيد بن المعلىٰ قال: «**كنا نغدو إلىٰ السوق علىٰ عهد رسول الله ﷺ فنمر علىٰ المسجد فنصلي فيه**» (النسائي). فهم رضوان الله عليهم كما قال تعالىٰ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ**﴾[النور:37].

عادات تحتاج إلى تغيير..

في هذه العشر الأواخر هناك بعض العادات التي نشأ بعضنا عليها وترعرع، لكنها في الحقيقة تحتاج منا إلىٰ تصحيح وتغيير، ذلك لأننا بفضل الله عز وجل نحيا باسم الله وفي سبيل الله، ومن أجله سبحانه نعمل ونسير في هذه الحياة متمثلين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:162،163].

فالمسلم لا تحكمه أهواء نفسه، ولا تقيده شهواتها، ولا تصده عما يقربه إلىٰ الله زخرف الدنيا ومتاعها، فهو متبع لمنهج خالقه بلا غلو أو تفريط، متحريا ما يرضي ربه عز وجل.

ومن هذه العادات الخاطئة التي يقع فيها بعضنا تضييع تلك الأيام المباركات كلها أو بعضها من العشر الأواخر المليئة بكنوز الخير وتبديدها في التحضير للعيد القادم في الطريق إلينا بطرق متعددة ومتنوعة، فمن ذهاب للأسواق كل يوم لشراء مستلزمات الأولاد من ملابس وألعاب يحيون بها في العيد وينعمون، وشراء هدايا الأهل والأحباب والأصدقاء، إلىٰ انشغال الأمهات بعمل أطباق الحلوىٰ والطعام الخاص بأيام العيد والقيام بحملات النظافة المبالغ فيها استعدادا ليومه، فتقضي المرأة وقتا كبيرا في تغيير ديكور المنزل ونظام غرفه وأثاثه، وفي شراء بعض

المفروشات الجديدة الخاصة به وإلا غسلت القديم عندها منه، وأعرف بعض النساء ممن يقضين ما قبل العيد لصنع كعك العيد وغسل سجاد المنزل وفرشه، ويبذلن من أجل ذلك جهدا كبيرا، ظنا منهن أن العيد لا يكون عيدا إلا بهذا! ولا يخفىٰ علينا الجهد الكبير المبذول في هذه المهمة الصعبة مما يجعل المرأة منهكة القوىٰ غير قادرة علىٰ السهر والتهجد لتلمس ليلة القدر فيفوتها خير لا تستطيع تعويضه.

حقوق مطلوبة.. وواجبات كثيرة..

إن دخول الأسواق أمر لا بد منه وقد جعلها الله تعالىٰ من أسباب النفع والمعاش وقضاء الحوائج للناس ومن أسباب الرزق كذلك للتجار والبائعين، والتأدب بآدابها الشرعية مطلوب من كل مسلم، كما يطلب منه حين يقصدها للشراء أن لا يجعل منها مقرا لسكناه ومعيشته فيقضي فيها أكثر مما يقضيه في بيته وبين أهله، وأبنائه كحال بعض النساء اللاتي يقتلن بها أوقاتهن ويقطعن بارتيادها الوحشة والملل والوحدة كما يقلن، وكذلك يفعل بعض الرجال لكني أقول لهم جميعا إن أوقات المسلم عامرة دائما بالعمل ولا مكان للفراغ في حياته، فهو إما في طاعة أو ذكر لله بتلاوة كتابه وحفظه وفهمه والعمل به، أو تعلمه وتعليمه والدعوة إليه، كما قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»

(البخاري). وإما بصلة أرحامه والإحسان إليهم وإن قطعوه، وهي كما قال ﷺ: «**صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**» (أحمد)..أو ببر الوالدين وحسن صحبتهما، وذلك من أحب الأعمال إلىٰ الله عز وجل كما قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلىٰ الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله**» (البخاري).. وكذلك في قضاء حوائج الناس وهذا خير وأي خير.. يقول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله علىٰ قضاء حوائج الناس**»(البيهقي). ويمكن قضاء أوقات الفراغ في السعي لمساعدة الضعفاء والمحتاجين والقيام بما ينفعهم وهذا من أعظم الصدقات وفي الحديث:«**وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة**» (أحمد)، كذلك في التلذذ والسرور بإدخال السرور علىٰ الأرملة والمسكين واليتيم بما يليق من عون ومساعدة وخلق حسن، وهذا يحبه الله ورسوله كما قال ﷺ: «**أحب الناس إلىٰ الله تعالىٰ أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ سرور تدخله علىٰ مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشىٰ مع أخيه في حاجة حتىٰ يتهيأ له أثبت**

الله قدمه يوم تزول الأقدام» (الطبراني). وقبل ذلك وبعده تربية الولد على الصلاح وتنشئته على الإيمان وتعليمه مكارم الأخلاق كما قال رسول الله ﷺ: «**ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن**» (أحمد).

فالواجبات كثيرة وقائمة الحقوق مطولة، ألا ترى أن كل ذلك يحتاج منا إلى أوقات طويلة لا مجال فيها ولا فسحة لفراغ؟ نسأل الله تعالى العون والإخلاص.

حينما تذهب إلى السوق..

- أولا أخلص النية لله تعالى في ذهابك للسوق وانو إدخال السرور على أهلك وأولادك بقضاء حوائجهم.
- لا تذهب إلى السوق إلا إذا كنت في حاجة حقيقية للذهاب إليه.
- كن ذاكرا لله تعالى عند دخول السوق ولا تنس الدعاء، وليزل لسانك رطبا بذكر الله تعالى.
- اقض حاجتك من السوق في أقصر وقت، ولا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه.
- كن سمحا عند البيع سمحا عند الشراء ولا تكثر من الحلف.
- حاول أن تشتري أغراض العيد وملابس الأطفال قبل حلول

العشر الأواخر من رمضان.

- اصحب معك بعض أبنائك في كل مرة إلىٰ السوق لتعلمهم آدابه تعليما عمليا وتقدم لهم القدوة الطيبة من خلال التزامك بذلك.

- اترك لأبنائك الصغار حرية اختيار ملابسهم خاصة في العيد ما دامت مناسبة وشرعية، واصحبهم معك لشرائها لتدخل الفرحة عليهم، ولا تجبرهم علىٰ شراء ما لا يرغبون منها، بل قدم لهم النصيحة وتشاور معهم فإنك بذلك تساعد في بناء شخصية حرة مستقلة لها رأي.

- اجعل لأبنائك ميزانية محددة مناسبة من المال لشراء أغراضهم لتدريبهم علىٰ حسن التعامل مع المال والاقتصاد في النفقة.

- لا تشتر الملابس الشبه عارية لبناتك الصغيرات بحجة صغرهن فإن تعويدهن علىٰ الحياء والحشمة المعقولة لمثلهن مطلوب.

- لا تسرف في الشراء ولا تقتر فتقع في جانب الإفراط أو التفريط وكلاهما مذموم.

- لا تنس أن تصحب معك يتيما أو مسكينا لشراء ملابس العيد له وإدخال الفرحة عليه.

- لا ترهق جيبك بكثرة النفقات لهدايا الأصدقاء في العيد، وأحضر هدايا رمزية حسب ما تملك، فالهدية بمعناها لا بقيمتها، و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾[البقرة:286].
- احذر أن تضيع عليك صلاتك في أثناء التسوق بل اقطع تسوقك واذهب للصلاة متىٰ دخل وقتها وسمعت النداء.
- وأخيرا عليك مجاهدة نفسك ومخالفة هواها وكلما سولت لك تسويف العمل، وتأجيل الخير، أو تضيع الوقت والتفلت من واجباتك وأنت صائم فاستعذ بالله ولا تفعل وقل إن رمضان ليس لهذا.

❀ ❀ ❀

مقامات رمضانية

دكتور أحمد عيسى

صائم في مقام الفرح

يتجسد الشهر في وجهه منذ أن يبدأ، عليه نور القمر منذ أن هل هلاله، يزداد نوارا علىٰ نور وإيمانا مع إيمانه. عرفته عن قرب، وراقبته عن بُعد، حينما حلّ الشهر وجدته فرحا مستبشرا يشرق محياه بالحلاوة، وتتعطر أنفاسه بالذكر الدائم. ماذا حدث.. هل تغيرت إشعاعات العالم، هل تغيرت الموجات الكهرومغناطيسية؟ هل هناك شيء ما في الشهر يحدث في الكون لا ندركه يلامس أرواح أهل الإيمان فيتفاعل في الجسد، وينتج عنه نضرة الوجه بنعيم الصيام؟

كان عم إبراهيم رقيقا.. ولكن ما إن يحل رمضان ضيفا حتىٰ ينغمر في بحر البهجة، ويغتسل في نهر الانشراح.. سألته فقال: يا بنيّ ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس:58].. وفضل الله هو الإسلام، ورحمته هي القرآن.. ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ [القصص:86] .

يقول ابن القيم في مدارج السالكين: (فالفرح بالله وبرسله

وبالإيمان وبالسنة وبالعلم وبالقرآن من أعلىٰ مقامات العارفين، قال الله تعالىٰ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[التوبة : 124] .. وهذا الفرح بها دليل علىٰ تعظيمها ومحبتها).

(والفرح بالشيء فوق (الرضا) به، فإن (الرضا) طمأنينة وسكون وانشراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرِح راضٍ، وليس كل راضٍ فرِحا. ولهذا كان الفرح من الحزن، والرضىٰ من السخط، والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه).

لازمت الرجل حتىٰ (**يصيبني**) شيء من فرحه برمضان، لم يكن عم إبراهيم يبتسم تصنعا وإنما كأن شيئا تغير فيه فألزمه السرور.

كأنه وجد حلاوة الإيمان كما في الحديث عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» (البخاري).

رأيته مشمرا للعبادة والطاعة مستجيبا لكل ما يحبه الله وأدركت أن سروره أذهب بنوع من الحزن ناتج من خوف الانقطاع، حزن المتخلفين عن ركب المحبين ووفد المحبة،

وأهل الانقطاع هم الذين «**كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**».

يقول ابن القيم: (**فثبط عزائمهم وهممهم أن تسير إليه وإلىٰ جنته، وأمر قلوبهم أمرا كونيا وقدريا أن تقعد مع القاعدين المتخلفين عن السعي إلىٰ محابه. فلو عاينت قلوبهم – حين أمرت بالقعود عن مرافقة الوفد، وقد غمرتها الهموم وعقدت عليها سحائب البلاء، فأحضرت كل حزن وغم، وأمواج القلق والحسرات تتقاذف بها، وقد غابت عنها المسرات. ونابت عنها الأحزان– لعلمت أن الأبرار في هذه الدار في نعيم، وأن المتخلفين عن رفقتهم في جحيم**).

ورأيته شغفا للعلم في هذا الشهر، ويحثني عليه، وأدركت أن سروره طرد حزن ظلمة الجهل (والجهل نوعان: جهل علم ومعرفة، وجهل عمل وغيّ، وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب. وكما أن العلم يوجب نورا وأنسا، فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة. وقد سمىٰ الله تعالىٰ (**العلم**) الذي بعث به رسوله نورا وهدىٰ وحياة، وسمىٰ ضده ظلمة وموتا وضلالا. قال تعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة:46].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ

كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:122].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ ﴾[الشورى:52].

فجعله (**روحا**) لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، و(**نورا**) لما يحصل به من الهدىٰ والرشاد.

كان عم إبراهيم في رمضان يكثر من المناجاة والسجود والدعاء، كان بسيطا في دعائه، يستغيث بالقريب، وأدركت أن من وراء فرحه قربه من الله.

(ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال علىٰ الله، وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته).

والتفرق يوجب وحشة الحجاب، وآلامه أشد من ألم العذاب ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[المطفِّفين:15].

(فأطيب العيش عيش المحب الواصل لمحبوبه، وأمَرّ العيش عيش مَن حيل بينه وبين محبوبه، لهذا جعل الله مفارقة المشتهيات – لأهل الدنيا- من أعظم العقوبات «**وحيل بينهم وبين ما يشتهون....**».

ولم يكن سماعه وحضوره لمجالس العلم شيئا (**روتينيا**)

يقضي به الوقت، لتمر ساعات النهار والصوم، بل كان سماعه سماع المنتفع، لا مجرد سماع الإدراك، وهو يزيل بقايا الوحشة التي سببها ترك الانقياد التام.

(وقد بين الله سبيل حصول هذه المعرفة «**إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد**».

فالله كلامه ذكرى لا ينتفع بها إلا من جمع هذه الأمور:

أن يكون له قلب حيّ واعٍ.

أن يصغي بسمعه فيميله كله نحو المخاطب.

أن يحضر قلبه وذهنه عند المكلم له وهو (**الشهيد**).

فإن غاب قلبه وسافر مع موضع آخر لم ينتفع بالخطاب.

وكان عم إبراهيم أكثر استغفارا في رمضان (**فأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه وأنه لولا الأمر لما قدم أحدهم علىٰ مثل هذه العبودية، ولا رضيها سيده**).

وقد أمر الله تعالىٰ وفده وحجاج بيته بأن يستغفروا عقب إفاضتهم من عرفات. وهو أجلّ المواقف وأفضلها.

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة:199] .

❀ ❀ ❀

صائم في مقام التوبة والمحاسبة

يحكىٰ لي أنه تعوّد قبيل حلول شهر رمضان أن يتحدث إلىٰ نفسه، كثيرا ما يقف أمام المرآة يرىٰ صورة ذاته ويجلدها.. يحملق فيها ليبعد عنها رداء الرياء وزخرف الريش. يرىٰ في عمق عينيه شرائط الذكريات التي تحمل صور الذنوب التي اقترفها.. ولا يزال.

يكلم نفسه ويخاطبها ويحاورها ويعاتبها ويخبرها أن الوقت حلّ للتغيير والتوبة. كيف تصوم وأنت عاصٍ؟ ألم يأن لك أن يخشع قلبك لذكر الله وما نزل من الحق؟

قلت له وكيف تقيس نفسك وتتمكن من محاسبتها؟

- سوء الظن بنفسي (**لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويُلبَس الأمر، فأرىٰ المساويء محاسن والعيوب كمالا)**
- ولعل ذلك لا تستطيعه إلا إذا رُزقت نورا من الحكمة والعلم تميز به.
- نعم (**ولأميز النعمة من الفتنة، فأفرق بين النعمة التي فيها الإحسان واللطف وتحصل بها السعادة الأبدية، وبين**

النعمة التي بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه).

رجعت من عنده.. أنظر في المرآة مثله وكأنما جاء الشهر لتحل معه بركات التوبة.

ولكني سألت نفسي واتهمتها.. وهل لا يزال الخوف –بعد التوبة– مصاحبا لي، لا آمن من مكر الله طرفة عين. لا بد أن يستمر الخوف إلىٰ أن يسمع التائب قول الرسل لقبض روحه ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾[فُصِّلَت:30] فهناك يزول الخوف.

(هل انقطع قلبي وتقطع ندما وخوفا؟ وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالىٰ ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾[التوبة:110] قال: تقطعها بالتوبة.. هذا من حقائق التوبة لأنه يتقطع قلبه حسرة علىٰ ما فرط منه وخوفا من سوء عاقبته).

ويقول ابن القيم في مدارج السالكين (**ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضا: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب. لا تحصل بجوع أو ألم .. تكسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربه طريحا ذليلا خاشعا).**

خشيت وأنا أفتقد ذلك الذل ألا يتقبل مني أو يقبلني، مكثت أنظر في المرآة ثم أرجع بصري مرة ومرة أستعيد من ذاكرتي حكاية أعادت لنفسي الطمع في رحمة الله، عن بعض العارفين **(أنه رأىٰ في بعض السكك بابا قد فُتِح وخرج منه صبيّ، يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتىٰ خرج. فأغلقت الباب في وجهه ودخلت. فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرا. فلم يجد له مأوىٰ غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته. فرجع مكسور القلب حزينا. فوجد الباب مرتجا، فتوسده ووضع خده علىٰ عتبة الباب ونام، فخرجت أمه. فلما رأته علىٰ تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟ ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني. ولا تحملني بمعصيتك لي علىٰ خلاف ما جُبِلْتُ عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت).**

وقد يتألم الإنسان وهويقف أمام مرآة ذاته يفتش عن عمل قديم فيه حب وإحسان فلا يجد، أو يجد ما لا ينفي عنه الرياء أو البدعة، يتذكر أصحاب الغار الثلاثة وقد خرجوا من حبسهم بإخلاصهم السابق!

(يعفىٰ للمحب وصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفىٰ لغيره، فموسىٰ ألقىٰ الألواح التي فيها كلام الله فكسرها وجرّ بلحية نبي

مثله ولطم عين ملك الموت ففقأها... وربه يحبه ويكرمه لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدىٰ عدو له وصدع بأمره. فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر. وانظر إلىٰ يونس بن متىٰ حيث لم يكن له هذه المقامات، غاضب ربه مرة فأخذه وسجنه في بطن الحوت ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الصافات:143،144] ، وأما فرعون فلم تكن له سابقة خير تشفع له وقال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس:90] قال له جبريل ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس:91]).

(ولا يستحق العبد اسم التائب حتىٰ يتخلص من جميع أجناس المحرمات. وهي اثنا عشر جنسا مذكورة في كتاب الله عز وجل: الكفر والشرك والنفاق والفسوق والعصيان والإثم والعدوان والفحشاء والمنكر والبغي والقول علىٰ الله بغير علم، واتباع غير سبيل المؤمنين).

(والإصرار علىٰ الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار. ومحقرات الذنوب تجتمع علىٰ العبد وهو يستهين بشأنها حتىٰ تهلكه)، كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن**

علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه، وإن رسول الله ضرب لهن مثلا: كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتىٰ جمعوا سوادا، وأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها» (صحيح الترغيب للألباني).

رمضان فرصة للتوبة وقد صفا القلب من أرضية الشهوات، وسنحت الفرصة لسماع الآيات في التراويح، أو قراءتها في السحر، تلك الآيات التي تحث علىٰ التوبة، وتعلن حب الله للتوابين، وتخبر عن ظلم الذين لم يتوبوا، وتعطي الجائزة العظيمة حين يبدل الله لمن تاب سيئاته حسنات. وهو فرصة للتعرض للنفحات الكبرىٰ كما في الحديث: «**أول شهر رمضان رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار**» (ابن أبي الدنيا وصححه السيوطي).

ومن بركات التوبة في رمضان أن صار الشهر محطة للغافلين مثلي ينتبهون فيها، ويتركون الذنوب والعادات السيئة التي اكتسبوها خلال العام، من هجر القرآن، وخلع الحجاب، وقطع الأرحام، وعقوق الوالدين. ويا لفرحة هؤلاء الذين تركوا المخدرات والتدخين والسهر بما لا يفيد علىٰ التلفاز والإنترنت.

❀ ❀ ❀

صائم في مقام الغربة

أشعر بالغربة يا صاح، غُربات بعضها فوق بعض منذ أن تركت وطـن الآبـاء والأجـداد، مهـد طفـولتي وأرض ذكريـاتي.. لـم أذق طعم النوم بعيدا عن فراشي هناك، ولـم أستـسغ طعامـا لـم تـصنعه أمـي، لا النـاس مثـل النـاس، ولا المـشاعر مثـل المـشاعر، بـل الأرض والسماء والطيور والهواء كلها غريبة أو أنا غريب عنها.

ماذا أفعل؟

- أطرق مفكرا وقد ساحت علىٰ وجنته دمعة، مـا تقولـه لـيس (غريبا)، ووقف في قبالة صـاحبه ووضـع كفيـه علىٰ كتفـي صـاحبه.. إن كنـت غريبـا خـارج وطنـك فقـد كنـت غريبـا داخله وسط الشح والهوىٰ والعُجب.

حينما سأل أبو ثعلبة الخشني كيف تصنع في هـذه الآيـة؟ قـال: أيـة آيـة؟ قلـت: قولـه تعـالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[المائـدة:105] . قـال: أمـا والله لقـد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: «**بـل ائتمـروا بـالمعروف، وتنـاهوا عـن المنكـر، حتىٰ إذا رأيـت شـحا مطاعـا، وهوىٰ متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجـاب كـل ذي رأي برأيـه، فعليـك**

بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياما، الصبر فيهن مثل القبض علىٰ الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم» (الترمذي- حسن غريب).

فلا تمنعنك الغربة من العمل فالأجر كبير.

- إن في رمضان لفرصة يجتمع فيها الغرباء فتذهب وحشة غربتهم، تعال معي – في وطنك الجديد – نصلي معا ونفطر ونقيم الليل.

- ولكن لن يمنع هذا غربتي!

- يا صاحبي كن غريبا ولكن كن أيضا مصلحا تنل السعادة كما في حديث رسولنا ﷺ «... **إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبىٰ للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»** (حسنه الترمذي).

يا صاحبي الغربة غربتان كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين: (**غربة أهل الله وأهل سنة رسوله ﷺ بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه (بدأ غريبا) وأنه (سيعود غريبا كما بدأ)، فهذه الغربة لا وحشة علىٰ صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا**).

وفي حديث معاذ عن الرسول ﷺ: «**إن يسير الرياء شرك، وإن من عادىٰ لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدىٰ، يخرجون من كل غبراء مظلمة**».

(فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، فأهل الإسلام في الناس غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة هم غرباء، والداعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالفين هم أشد هؤلاء غربة).

- لقد نبهني إلىٰ الحقيقة، الغربة التي أشعر بها هي غربة الجسد، ولم أرتق بعد للغربة الممدوحة!
- قد يجتمع في المرء الأمران.. وفي الحديث: «**إن أحب شيء إلىٰ الله الغرباء**». قيل من الغرباء؟ قال: «**الفرارون بدينهم. يجتمعون إلىٰ عيسىٰ بن مريم عليه السلام يوم القيامة**».

فالفرار بالدين مع التمسك به غربة في الوطن وغربة في الدين. ولم تمنع الغرية المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلىٰ الحبشة من الاستمساك بالإسلام والدعوة إليه. حتىٰ في حال الخوف والحرب لم تسقط عنا الصلاة «**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة..**».

- وإذا كنت في مجتمع يفطر وأنت صائم، يلهو وأنت قائم، يغفل وأنت ذاكر. فأنت غريب.

(فالغريب غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعدا ولا معينا، فهو عالم بين جهال. داع إلىٰ الله ورسوله بين دعاة إلىٰ الأهواء والبدع. آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر، والمنكر معروف).

للغريب في الصيام معان جديدة، فاقتراب ساعة الإفطار كاقتراب ساعة الوصول من سفر الغربة وما فيه من صبر واحتمال ومشقة إلىٰ وقت «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**».

وحينما يصل المسجد في وقت الصلاة – خاصة التراويح– فكأنما اجتمع الغرباء علىٰ موعد واحد، يخرجون من غربتهم باصطفافهم كالبنيان المرصوص في صفوف الصلاة ويقفون معا، ويركعون معا، ويسجدون معا، فليس فيها الغريب الذي يجد نفسه وحيدا، يركع وهم يسجدون، أو يسجد وهم يقفون.

غربة مريم الأنثىٰ في المعبد أذهبت بالركوع مع الجماعة ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:43] . وغربة موسىٰ بمصر أذهبت بالصلاة معا: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:87]

ويغترب الناس بأجسامهم بحثا عن الوصول الحقيقي بالـصلة والصلاة في مثل هذه الأماكن الطاهرة: «**لا تـشد الرحـال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحـرام، ومسجد الرسـول ﷺ، ومـسجد الأقصىٰ**» (البخاري).

وغربة الـوطن لهـا معنـىٰ آخـر، فـوطن المـؤمن الحقيقـي هـو الجنة. وهي وطن جده الأول آدم عليه السلام.

قال ﷺ: «**ليحبس أهل الجنة بعد ما يجاوزون الـصراط علىٰ قنطـرة، فيؤخـذ لبعـضهم مـن بعـض مظـالمهم التـي تظالموهـا في الـدنيا، حتـىٰ إذا هـذبوا ونقـوا، أذن في دخـول الجنـة، فلأحـدهم أعرف بمنزله في الآخرة منه بمنزله كان في الدنيا**» (الحاكم).

فحي علىٰ جنات عـدن فإِنـها
منازلك الأُولىٰ وفيها المخيـم
ولكننا سبىٰ العـدو، فـهل تـري
نعود إِلىٰ أَوطاننا ونسـلـم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي
أضحـت الأعـداء فينا تحكم!

❀ ❀ ❀

صائم في مقام السماع

طنين.. طنين.. يملأ الآذان صخبا، والحياة ضجيجا.. ألوان من الغناء، وأشكال من الموسيقىٰ، وطرائق من اللغو، ودروب من الحديث والتخاطب، والشعر والتمثيل والصراخ والهتاف.. موجات من أصوات الهراء والضلال والباطل تملأ الأثير.. وتكاد تخنقه أو تصمّه! أطلق الناس ستة آلاف قمر صناعي تدور حول الأرض، لا زال نصفها يعمل... ويلتقطون آلاف المحطات..

حان الوقت ليصمت كل ذلك الكَمّ الهائل، جاء رمضان شهر القرآن ليُسمَعَ القرآن وحده! (**وهو سماع الآيات، لا سماع الأبيات، وسماع القرآن، لا سماع مزامير الشيطان، وسماع كلام رب الأرض والسماء لا سماع قصائد الشعراء، وسماع المراشد لا سماع القصائد، وسماع الأنبياء والمرسلين، لا سماع المغنين والمطربين**).

حان الوقت للسماع الإيماني.. سماع القرآن سماع إدراك، وسماع فهم، وسماع إجابة، كما يقول ابن القيم في مدارج السالكين: (سماع الإدراك تجده في قوله تعالىٰ حكاية عن مؤمني الجن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: 1،2] وقوله ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾

[الأحقاف : 30] فهذا سماع إدراك اتصل به الإيمان والإجابة.

وأما سماع الفهم فهو المنفي عن أهل الإعراض والغفلة ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾[الروم:52] و ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال:23] .

وأما سماع القبول والإجابة ففي قوله تعالىٰ حكاية عن عباده المؤمنين أنهم قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾[النور:51] فإن هذا سماع قبول وإجابة مثمر للطاعة).

(فهذا السماع حَادٍ يحدو القلوب إلىٰ جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلىٰ ديار الأفراح. فلا يعدم من اختار هذا السماع إرشادا لحجة، وتبصرة لعبرة، وتذكرة لمعرفة، وفكرة في آية، ودلالة علىٰ رشد، وبصيرة من عمىٰ، وأمرا بمصلحة، ونهيا عن مضرة ومفسدة. فمن قرئ عليه القرآن فليقدر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به، وعندئذ تزدحم معاني المسموع ولطائفه وعجائبه علىٰ قلبه..).

والسماع رسول الإيمان إلىٰ القلب وداعيه ومعلمه، وكم في القرآن من قوله ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة:27] ، وقال ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ ﴾
[الحج:46]

فالسماع أصل العقل وأساس الإيمان الذي ابتنىٰ عليه، وهو رائده وجليسه ووزيره، ولكن الشأن كل الشأن في المسموع.

وكان النبي يحب أن يستمع للقرآن ففي البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ «**اقرأ عليّ**» فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل! قال «**نعم إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدا**) فقال «**حسبك الآن**» فإذا عيناه تذرفان.

وفي مسلم قال رسول الله ﷺ لأبي موسىٰ: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود**».

كذلك الاستماع لقراءة الصلاة فإن أبا موسىٰ قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته، وكان حلو الصوت، فقمن يستمعن، فلما أصبح، قيل له، فقال: لو علمت، لحبرته لهن تحبيرا. (علىٰ شرط مسلم).

(وأصحاب السماع منهم من يسمع بطبعه ونفسه وهواه، فهذا حظه من مسموعه ما وافق طبعه.

ومنهم من يسمع بحاله وإيمانه ومعرفته وعقله، فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته.

ومنهم من يسمع بالله، لا يسمع بغيره،« **فبي يسمع**» «**كنت سمعه الذي يسمع به**» وهذا أعلىٰ سماعا وأصح من كل أحد.

وفي الحديث القدسي إن الله قال: «**من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**» (البخاري).

يقول ابن القيم: (هذا السماع القرآني سماع أهل المعرفة بالله، والاستقامة علىٰ صراطه المستقيم، ويحصل للأذهان الصافية منه معانٍ وإرشادات ومعارف وعلوم، تتغذىٰ بها القلوب المشرقة بنور الأنس، فيجد لها لذة روحانية يصل نعيمها إلىٰ القلوب والأرواح، وربما فاض حتىٰ وصل إلىٰ الأجسام فيجد من اللذة ما لم يعهد مثله من اللذات الحسية.

فإذا تجردت الروح وكانت مستعدة. وباشر القلب روح المعنىٰ، وأقبل بكليته علىٰ المسموع فألقىٰ السمع وهو شهيد، وساعده طيب صوت القاريء، كاد القلب يفارق هذا العالم، ويلج عالما آخر، ويجد له لذة وحالة لا يعهدها في شيء غيره البتة.

وذلك لمحة من حال أهل الجنة في الجنة، واقتراب للملائكة من أهل الأرض كما جاء عن أسيد بن حضير بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيىٰ قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلىٰ السماء حتىٰ ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**». قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيىٰ، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلىٰ السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتىٰ لا أراها، قال: «**وتدري ما ذاك؟**». قال: لا، قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارىٰ منهم**» (البخاري).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد:28] . أصح القولين أن ذكر الله هاهنا القرآن. وهو ذكره الذي أنزله علىٰ رسوله. به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ولا سبيل إلىٰ حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن. والقول الآخر هو ذكر العبد ربه.

قـال الحـسن البـصري رحمـه الله: تفقـدوا الحـلاوة في ثلاثـة أشـياء: في الـصلاة، وفي الـذكر، وقـراءة القـرآن. فـإن وجـدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

۞ ۞ ۞

صائم في مقام الإيثار والخدمة

إن أنْسَ لا أنسىٰ **(فريدا)** وإن تعجب فعجب فعل هذا الرجل.

ما إن يحل شهر رمضان حتىٰ تجد فريدا كالنحلة النشطة لا تكف عن العمل بلا كدّ ولا كلل.

وعمله هو لإخوانه داخل المسجد والمؤسسة التابعة، يعدّ وينظف المكان ويحرس الأبواب، يسقي الظمأىٰ، يساعد في طبخ الإفطار وتقديمه، يبقىٰ مستيقظا إذا نام الناس في المعتكف، مستعدا لأي طارئ متقدما لأي خدمة.. إذا احتاج الأمر للمال دفع، للتوصيل قاد، للسهر قام، للعمل رفع. كل ذلك وهو سعيد مرتاح لا تسمع منه كلمة تذمر أو نبسة اعتراض، كأنه خلق لا تهمه نفسه وإنما يهمه إخوانه. وتراه مع ذلك لا تفوته العبادة كما في الحديث:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل علىٰ خلقي ولم يبت مصرًّا علىٰ معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في**

الظلمة نوراً وفي الجهالة حلمـاً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة» (رواه البزار).

ذلك التوازن بين الخدمة والعبادة تراه في الحديث عن الأسود قال سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «**كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة**» (البخاري).

وكذلك العلاقة بين الإيمان وحب الخير للأخوة في الدين، فعن أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (البخاري).

كأنما سَلّ الصيام سخيمة نفْس «**فريد**» وجردها من الأَثَرة. كأنما تحقق فيه قول رسول الله ﷺ: «**طوبىٰ لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة..**» (معجم الطبراني الكبير).

أسأل نفسي هل يحقق هذا الرجل السخاء، لا ينقصه البذل ولا يصعب عليه. أم أنه في مقام الجود فهو يعطي الأكثر، ويبقي شيئا لنفسه، أم أنه في منزلة الإيثار فيؤثر إخوانه بالشيء مع حاجته إليه، وهذه قصة آية الإيثار في سورة الحشر:

عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا أتىٰ النبي ﷺ فبعث إلىٰ نسائه فقلن ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ «**من يضم أو يضيف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار أنا فانطلق به إلىٰ امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. فقالت ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما**» فأنزل الله «**ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**» (البخاري).

وللعجب فهؤلاء الأنصار أصحاب الإيثار، أخبرهم النبي أنهم سيجدون من بعده أثرة:

لما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي**». كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمَنّ، قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**» قال: كلما قال

شيئا قالوا الله ورسوله أمنّ، قال: «**لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلىٰ رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض**» (البخاري).

فنبههم علىٰ ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه بالنسبة إلىٰ ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية. وزاد في حديث أبي سعيد «**اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال: فبكىٰ القوم حتىٰ أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا**».

يقول ابن القيم: [الجود] عشر مراتب:

الجود بالنفس وهو أعلىٰ المراتب.

الجود بالرياسة فيحمل الجواد جوده علىٰ امتهان رياسته والإيثار في قضاء حاجات الناس.

الجود براحته ورفاهيته فيجود بها تعبا وكدّا في مصلحة غيره.

الجود بالعلم وبذله وهو أفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال ومنه أن تبذله لمن لم يسألك عنه. ومنه أن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابا شافيا.

الجود بالنفع بالجاه كالشفاعة والمشي مع الرجل إلىٰ ذي سلطان.

الجود بنفع البدن.. عن النبي ﷺ قال: «**كل سلامىٰ عليه صدقة، كل يوم، يعين الرجل في دابته، يحامله عليها، أو يرفع متاعه صدقة، والكلمة الطيبة، وكل خطوة يمشيها إلىٰ الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة**» (البخاري).

الجود بالعرض، كجود أبي ضمضم من الصحابة كان إذا أصبح قال: (**اللهم إنه لا مال لي أتصدق به علىٰ الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حِلّ**)، **قال ابن القيم: وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه**).

الجود بالصبر والاحتمال والإغفاء ولا يقدر عليه إلا النفوس الكبار «**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله**». فذكر المقامات الثلاثة، مقام العدل وأذن فيه، ومقام الفضل وندب إليه، ومقام الظلم وحرّمه.

الجود بالخُلُق والبشر والبسطة.. قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**»(مسلم).

الجود بتركه ما في أيدي الناس فلا يلتفت إليه ولا يستشرف له قلبه..

الصَّائمُ بَيْنَ جَناحَيْن..

دكتور أحمد عيسى

أنا الصائم الطائر
أو الطائر الصائم..

لي جناحان، لا يمكنني أن أحلق في سماء رمضان إلا بهما.. وبهما معا.

لو فقدت أحد الجناحين لم يغنني الآخر عنه..

ذلك قدري.. كي أعلو وأصل المراد...

❀ ❀ ❀

الصائم بين جناحي..
الإخلاص والمتابعة

أنا الصائم الطائر، أو الطائر الصائم، لي جناحان، لا يمكنني أن أحلق في سماء رمضان إلا بهما.. وبهما معا، لو فقدت أحد الجناحين لم يغنني الآخر عنه.. ذلك قدري.. كي أعلو وأصل المراد... قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[النساء:125] . فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه متابعة رسوله ﷺ وسنته. فمن فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا. ومتىٰ جمعهما فهو عمل المؤمنين، الذين يتطلعون إلىٰ أحسن العمل.. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [المُلك:2].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن

صوابا لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون علىٰ السنة. ثم قرأ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف:110].

يبدو لي أن جناح الإخلاص، صعب وفريد، وسرّ بين العبد وربه، حيث قال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب علىٰ عملك شاهدا غير الله، ولا مجازيا سواه.

وأنا أتتبع عملي، أشعر بالخطورة.. هل صُفي عملي من كل شوب؟ والشوائب كثيرة: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجي.

وإذا نظرت إلىٰ حال المشركين تجد لهم صعودا مؤلما ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:125]. ثم ما يلبث أن يكون مصيره الهاوية ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[الحج:31].

ولا يترك الإنسان العمل لهذه الحجة، وإنما يزن أموره كما يزن جناحه ويتحرىٰ الأمر بدقة..

من كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقبل أن أنطلق بجناح الإخلاص في رمضان حيث الصيام والقيام والذكر وقراءة القرآن والإنفاق وأعمال البر، عليّ أن أتوقف حتىٰ أخلص بخلاصي من رضاي بعملي،

عن طريق:

1 - مطالعة عيوبي في العمل وتقصيري فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان.

لقد سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال «**إنما هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» (البخاري، واللفظ لأبي داوود).

فإذا كان هذا التفات لحظة، فكيف التفات القلب إلىٰ ما سوىٰ الله؟ هو أعظم نصيب الشيطان من العبودية كما يقول ابن القيم في المدارج.

2 - علمي ما يستحق الرب جل جلاله من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة، وأن العبد أضعف وأعجز من أن يوفيها حقا.. ويستحيي من مقابلة الله بعمله.. قال بعضهم: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن لم يتهم نفسه علىٰ دوام الأوقات لهو مغرور.

أما جناح المتابعة فهو الهادي.. كيف أصوم، وكيف أصلي، وكيف أعتكف؟

قال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ.

وأنا في الفضاء أرى صائمين يسيرون إلى الأمام بسرعة وثبات إلى الغاية، وهم من حققوا الشرطين، وأرى آخرين انعكس سيرهم إلى خلف.. لانعدام الشرطين. وآخرين يسيرون سير المقيد والمقعد.. فهم لم يبذلوا جهدهم ويوحدوا طلبهم. وفي الحديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» (البخاري).

وهذا أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث (الأعمال بالنيات) ميزان للأعمال في باطنها. فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله.

وحينما يطير الطائر يجد شيعا وجماعات متفرقة، تختلف اختلافات كثيرة، وكلا منها يدّعي أنه الصواب!

ولهؤلاء أقدم هذا الحديث:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها

موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**» (أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح).

والسنّة هي الطريق المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال وهذه هي السنة، ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:54]. أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالىٰ: «**فإن تولوا**» أي تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به «**فإنما عليه ما حمل**» أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة «**وعليكم ما حملتم**» أي بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه (تفسير ابن كثير).

قال وهب بن منبه: أوحىٰ الله إلىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعياء أن قم في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحي فقام فقال: يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فإن الله يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمرا هو منفذه إنه يريد أن يحول الريف إلىٰ الفلاة والآجام في الغيطان والأنهار في الصحاري والنعمة في

الفقراء والملك في الرعاة، ويريد أن يبعث أميا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لو يمر علىٰ السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي علىٰ القصب واليابس لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه بشيرا ونذيرا لا يقول الخنىٰ، أفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأسدده بكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوىٰ ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدىٰ إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به من الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء مشتتة، وأستنفذ به فئاما من الناس عظيما من الهلكة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل. رواه ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير).

❀ ❀ ❀

الصائم بين جناحي..
العلم والعمل

جناحان لا يستغني عنهما الصائم ولا يستطيع أن يطير إلا بهما معا.. ألا ترىٰ أنه علم فريضة الصيام، فعمل بما علم وصام، وعلم عظم أجر القيام فقام. وبالجناحين يستقيم التحليق إلىٰ الصراط المستقيم بعيدا عن (المغضوب عليهم) الذين علموا فلم يعملوا، (والضالين) الذين عملوا بلا علم. قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا (الطبري). ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة:33]، فالهدىٰ هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: (**يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ**) في الاعتقادات، (**وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**) أي: في العمليات (ابن كثير).

يقول ابن القيم في المدارج:« **والعلم تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووراثهم. وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء**

الصدور ورياضة العقول ولذة الأرواح وأنس الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد والهدىٰ والضلال» . «به يعرف الله ويُعبَد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد.. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام..» .

حينما يطير الطائر ويسبح في الفضاء ويقترب من حياة الناس وشوارعهم ومبانيهم وأسواقهم... يجد عزوفا عن العلم والقراءة إلا من رحم الله .. لأسباب كثيرة منها تقلص بركة الوقت بالانشغال بأسباب الرزق، لفشو الفقر، أو لطمع الغنىٰ، أو بالانشغال بألوان اللغو واللهو والباطل بما يسفح دم الأوقات**!**

ومع اختلاف درجات أحوال النفس فالعلم هنالك يلائم كل حال (**فهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة..**). (**مذاكرته تسبيح، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام والحاجة إليه أعظم منها إلىٰ الطعام والشراب**).

لعل الصائم يتذكر وهو يتلو القرآن في شهر القرآن أن الله ما أمر رسوله أن يسأله المزيد من شيء في الدنيا إلا في العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه:114] .

ويرحل بفكره إلىٰ قرون سابقة ومسافات بعيدة وكأنه يرىٰ من

بعيد رحيل كليم الرحمن موسىٰ عليه السلام في طلب العلم هو وفتاه، حتىٰ مسهما النصب في سفرهما، حتىٰ ظفر بثلاث مسائل فقط، وهو من أكرم الخلق علىٰ الله وأعلمهم به.

وفعل مثله فقهاء الأمة ومحدثوها حين طافوا البلاد في سبيل الله والعلم به، وتحري نقله وإثباته.

ومنهم البخاري رحمه الله الذي بوّب: (باب العلم قبل القول والعمل وقول الله تعالىٰ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد:19].

فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلىٰ الجنة. وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر:28] . وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:43] وقال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [المُلك:10]. وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزُّمَر:9] .وقال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم**». وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حكماء فقهاء. ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره).

ولا يزال الله سبحانه يقرن الإيمان بالعمل الصالح في آيات عدة. والآيات والأحاديث تقرن الإيمان بالاستقامة.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾[النساء:124].

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[النساء:125].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾[الكهف:30].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[فُصِّلَت:33].

عن سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك (**قال أبو معاوية: بعدك**)؟ قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه الإمام أحمد).

وكان الصحابة لا يتعدون الآيات حتىٰ يعملوا بها فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (**كان الرجل منا إذا تعلم عشر الآيات لم يتجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن والعمل بهن**). واختص الله سبحانه الصحابة عن سائر الأمة بخاصية البصيرة وهي التي تكون نسبة العلوم فيها إلىٰ القلب كنسبة المرئي إلىٰ البصر وهي أعلىٰ درجات العلماء، في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف:108]. وفيها معنيان: الأول أي أنا وأتباعي علىٰ بصيرة.

والثاني: أنا أدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة.

يستطيع جناح العلم أن يرفع صاحبه ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:11]... ولكن لمداومة التحليق وبلوغ المراد فلا بد من جناح العمل، الذي إذا انسلخ من جسد الطائر، وقع في الهاوية ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الأعراف:175]، قال ابن مسعود وابن عباس: هو بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل في زمن موسىٰ عليه السلام كان في مجلسه اثنتا عشرة ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه. قال مالك بن دينار: بعث إلىٰ ملك مدين ليدعوه إلىٰ الإيمان فأعطاه وأقطعه فاتبع دينه وترك دين موسىٰ (القرطبي).

وفي تفسير الجلالين: خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها، سئل أن يدعو علىٰ موسىٰ وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه علىٰ صدره «**فأتبعه الشيطان**» فأدركه فصار قرينه.

لذا قال بعض الحكماء: (**من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذابا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه. ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به**).

وسيسأل المرء عن علمه ماذا عمل به كما في حديث رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» (رواه الترمذي).

وقال أبو الدرداء: (**ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، ويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات**).

وروى الإمام ابن عبد البر في جامع العلم وفضله عن الشعبي أنه قال: «**كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم**».

وفي تفسير ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[آل عمران:187]، أي تركوا العمل به.

وإذا جمع الإنسان أقوالا بلا عمل كان كأنه طائر أعرج ذو جناح واحد مقصوص.. نبذته طيور السماء إلى العيش في الوحل.. قال بعض الحكماء: (**إذا كانت حياتي حياة السفيه، وموتي موت الجاهل، فما يغني عني ما جمعت من غرائب الحكمة**)!

وحين يتم العلم والعمل يحلق الطائر بعيدا عن الدنيا..

قال الثوري: (**العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقدوا، فإذا فُقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا**) أي الهرب عن الدنيا وليس علىٰ طلبها.. ليرتفع إلىٰ درجة التقوىٰ التي هي مقصد الصيام.. قال أبو الدرداء: لا تكون تقيا حتىٰ تكون عالما.. ومنه أخذ القائل قوله كيف هو متقي ولا يدري ما يتقي؟!

❁ ❁ ❁

الصائم بين جناحي..
التوكل والأسباب

أنا الطائر كجملة الطير التي تغدو في الصباح جائعة وتروح شبعانة.. فهي تحركت وطارت وخرجت ولم تبق في أعشاشها، أخذت بالأسباب وتوكلت، كما جاء في الحديث «**لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» (الترمذي). والتوكل عمل قلبي وعلم القلب بكفاية الرب للعبد، وانطراح القلب بين يدي الرب وترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار.. والرضا بالمقدر. ذلك أن أوله معرفة بالرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلىٰ علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته.. ذلك جناح. والجناح الآخر هو الأسباب!

فإن الله قضىٰ بحلول الشبع إذا أكل المرء، والريّ إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو.

وقضىٰ بحصول الحج والوصول إلىٰ مكة إذا سافر وركب

الطريق، فإذ جلس في بيته لم يصل إلىٰ مكة.

ولكن القضية أن من تمام التوكل عدم الركون إلىٰ الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بالأسباب.

فالأسباب كما قال ابن القيم في مدارج السالكين هي محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره. فلا تقوم عبودية الأسباب إلا علىٰ ساق التوكل. ولا يقوم ساق التوكل إلا علىٰ قدم العبودية.

وما أخلّ رسول الله ﷺ بشيء من الأسباب فرغم أن الله عصمه من الناس، لبس لامة الحرب في أحد، وظاهر بين درعين في نهاية المعركة، واستأجر دليلا مشركا يدله علىٰ طريق مكة أثناء الهجرة. وفي البخاري «**أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم**»، وهو سيد المتوكلين.

وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وكذا أصحابه وهم أهل التوكل حقا.

ومن الآيات: فقد قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[المائدة:23] .

وقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ

ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[التغابن:13] .

وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزُّمَر:36]. فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو المكذب لهذه الآية.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:159] وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالىٰ صاحبه، ومضمون كفاية الله تعالىٰ فاعله، فمن الله تعالىٰ حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب.

وكان ذلك في معرض مشاورة رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه. كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلىٰ العيرفقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرت بنا إلىٰ برك الغماد لسرنا معك... وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتىٰ أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم. وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلىٰ العدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبىٰ ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك، وكلها أخذ بالأسباب في أعمال مصيرية.. ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ

حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:159].

من الأدعية التي يتمثل فيها معاني التوكل، دعاء الاستخارة «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم**» فهذا توكل وتفويض. ثم قال «**فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب**» فهذا تبرؤ إلىٰ الله من العلم والحول والقوة وتوسل إليه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون.

ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلا أو آجلا، وأن يصرف عنه إن كان فيه مضرته عاجلا أو آجلا. فهذا هو حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له. فقال: «**واقدر لي الخير حيث كان. ثم رضني به**».

فقد اشتمل هذا الدعاء علىٰ المعارف الإلهية والحقائق الإيمانية التي من جملتها التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور، والرضا بعده. وهو ثمرة التوكل. والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضىٰ له فتفويضه معلول فاسد.

ولا ننس أن المستخير قد عزم علىٰ فعل وسبب ولم يترك ذلك أو يعطله.. بل طار المستخير بجناحين.

قال يوسف بن أسباط: (**كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه**

إلا عمله، وتوكلْ توكلَ رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له).

وها هو القرآن يأمر بتعاطي الأسباب مع الأمر بالتوكل. فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له والتوكل بالقلب عليه إيمان به كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء:71] ، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال:60]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:10]، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[البقرة:197].

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهىٰ، وحصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل علىٰ الله، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه.

كما قال تعالىٰ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾[الطلاق:2،3].

عن أبي ذر قال جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية حتىٰ فرغ من الآية ثم قال «**يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**». قال فجعل يتلو بها ويرددها علي حتىٰ نعست.. (رواه أحمد). يعني لو أنهم حققوا التقوىٰ والتوكل، لاكتفوا بذلك في

مصالح دينهم ودنياهم.

وكان النبي ﷺ يواصل في صيامه، وينهىٰ عن ذلك أصحابه، ويقول لهم: «**إني لست كهيئتكم، إني أُطعَم وأسقَىٰ**» (البخاري). والأظهر (**كما في جامع العلوم والحكم**) أنه أراد بذلك أن الله يقويه ويغذيه بما يورده علىٰ قلبه من الفتوح القدسية والمنح الإلهية، والمعارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من الدهر.. فهذه من خصوصياته ﷺ.

حتىٰ لو تحقق للطائر جناحاه فيطير لرزقه، فقد يحدث منه ما يعطله ويثقله..

كالذنب يصيبه «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيب**» (أحمد).

أو التكلف في طلب الرزق «**وإن نفسا لن تموت حتىٰ تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرّم**» (ابن ماجه وصححه ابن حبان).

أو عدم القناعة وعدم الرضا. قال عمر (**بين العبد وبين رزقه حجاب. فإن قنع ورضيت نفسه أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه**).

❀ ❀ ❀

الصائم بين جناحي..
الصبر والشكر

جناحان لا غنىٰ للطائر الرمضاني عنهما، فهو واقع دائما بين سراء وضراء، ويحتاج في تحليقه للعلا أن يتمتع بشكر علىٰ هذا، وصبر علىٰ ذلك.... وفي الحديث «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» (رواه مسلم).

هل يمكن أن تشكر فقط عند الخير، ولا تصبر عند الضر؟ وهل يمكن أن تصبر علىٰ البأساء، وتنسىٰ الشكر علىٰ النعماء؟

يستحيل أن تطير بجناح واحد!

وتذكر أخي الرمضاني أن تكمل صبرك علىٰ الصيام بشكرك علىٰ الطعام، فهما أجران متلازمان.

وهو يطير في الآفاق يرىٰ السفن في البحر .. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى:32،33]. أي في إجراء السفن

(السراء) وفي ركودهن **(الضراء)** علىٰ السواء آيات لمن صبر وشكر.. الخُلُق المناسب في الوقت المناسب.

أما الصبر فيقول عنه ابن القيم في المدارج: إنه حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوىٰ وهو ثلاثة أنواع، صبر علىٰ طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر علىٰ امتحان الله.

وسمع عن شيخه ابن تيمية يقول: **(كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز علىٰ شأنها أكمل من صبره علىٰ إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه. فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس)**. وكذلك كان صبر إسماعيل الذبيح وصبر أبيه عليهما السلام علىٰ تنفيذ أمر الله أكمل من صبر يعقوب علىٰ فقد يوسف.

وسمعه يقول **(أمر الله سبحانه في كتابه بالصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل. الصبر الجميل هو الذي لا شكوىٰ فيه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذىٰ معه)**.

والشكوىٰ إلىٰ الله لا تنافي الصبر فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل وإنما ينافي الصبر شكوىٰ الله، لا الشكوىٰ إلىٰ الله.

ومن أنواع الصبر:

صبر بالله: الاستعانة به ورؤيته أنه المصبّر. ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل:127]. يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

صبر لله: الباعث للمسلم على الصبر محبة الله والتقرب إليه لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق.

صبر مع الله: دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع الأحكام الدينية. صابرا نفسه معها يتوجه معها أينما توجهت ركائبها.. فقد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه.. وهو صبر الصديقين.

وقيل: الصبر بالله بقاء، ولله غناء، ومع الله وفاء. وفي الله بلاء، وعن الله جفاء.

ومن الناس من يدّعي محبة الله وحين يمتحنهم بالمكاره ينخلعون عن حقيقة المحبة ولا يثبت معه إلا الصابرون.. وقد تبين بذلك أن أعظمهم محبة أشدهم صبرا ولهذا وصف الله بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه. فقال عن حبيبه أيوب عليه السلام ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ ﴾[ص:44]. ثم أثنى عليه فقال «**نعم العبد إنه أواب**».

أما الصبر في المحن على أذى الظالمين وعند النوازل والبلاء فإن العبد يستجلب الصبر **ويستعين عليه بالآتي**:

1 - ملاحظة حسن الجزاء.

2 - انتظار الفرج.

3 - تهوين البلية بأمرين أحدهما أن يعد نعم الله وأياديه عنده، فإن عجز عن عدها وأيس من حصرها هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه بالنسبة إلىٰ أيادي الله كقطرة في بحر. والثاني تذكر سوالف النعم (**في الماضي**).

وقيل للشافعي يومًا: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين، فقال الشافعي رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن؛ ألا ترىٰ أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسىٰ عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكًا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾[يوسف:56]. وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن، قال الله تعالىٰ ﴿**وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا**﴾[الأنبياء:84].

وجناح الشكر.. نصف الإيمان.. فالإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

وتظهر علىٰ العبد آثار نعمة الله، علىٰ لسان عبده ثناء واعترافا،

وعلىٰ قلبه شهودا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادا وطاعة.

والشكر كما يقول ابن القيم مبني علىٰ خمسة قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها. وألا يستعملها فيما يكره.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟**» (متفق عليه واللفظ للبخاري). فمن عظمت عليه نعم الله وجب عليه أن يتلقاها بعظيم الشكر، لاسيما أنبياءه وصفوته من خلقه الذين اختارهم، وخشيةُ العباد لله علىٰ قدر علمهم به (النووي –شرح مسلم).

هل جربت سجدة الشكر تأسيا بالرسول ففي الحديث «**أن النبي ﷺ أتاه أمر فسر به فخر لله ساجدا**». (قال الترمذي هذا حديث حسن غريب). وقال المنذري: وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بإسناد صحيح، ومن حديث كعب بن مالك. وسجد أبو بكر حين جاء قتل مسيلمة، رواه سعيد بن منصور. وسجد علي حين وجد ذا الثدية في الخوارج، رواه أحمد في مسنده. وسجد كعب بن مالك في عهد النبي ﷺ لما بشر بتوبة الله عليه، وقصته متفق عليها.

قال الشوكاني في نيل الأوطار بعد ذكر أحاديث سجود الشكر ما لفظه: وهذه الأحاديث تدل علىٰ مشروعية سجود الشكر، وإلىٰ ذلك ذهب أحمد والشافعي.. ومما يؤيد ثبوت سجود الشكر قوله ﷺ في حديث سجدة سورة ص: «**هي لنا شكر ولداود توبة**» (تحفة الأحوذي).

وفي شكر المسلم انتفاع له هو، فمنفعة الشكر ترجع إلىٰ العبد دنيا وآخرة لا إلىٰ الله ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[لقمان:12]. فشكر العبد إحسان منه إلىٰ نفسه لا أنه مكافيء به لنعم الرب. فالرب تعالىٰ لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبدا، ولا أقلها ولا أدناها.. فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه وقد أحسن الله إلىٰ عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها، فشكرُه نعمة من الله تحتاج لشكر آخر.. وهكذا.

والعجيب أن من تمام نعمه سبحانه وعظيم كرمه وجوده أن ينعم علينا ثم يوزعنا شكر النعمة، ويرضىٰ عنا ثم يعيد إلينا منفعة شكرنا ويجعله سببا لتوالي نعمه واتصالها إلينا والزيادة علىٰ ذلك منها ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزُّمَر:7].

❀ ❀ ❀

الصائم بين جناحي..
الخوف والرجاء

القلب في سيره إلىٰ الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه. فمتىٰ سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران. ومتىٰ قطع الرأس مات الطائر، ومتىٰ فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

والصائم، الطائر الرمضاني يطير بجناحي الخوف والرجاء.. وإذا تعرض جناح الرجاء للعطب أوشك جناح الخوف أن يهوي بالطائر من شدة الوجل، ويعود الأمر إلىٰ اتزانه متىٰ سرت في جناح الرجاء دماء الاستبشار برحمة الله الواسعة.

وفي أثناء طيرانه يرىٰ البرق خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد:12].

يقول الله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[الإسراء:57]. ﴿وَيَدْعُونَنَا

رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾[الأنبياء:90]. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[السجدة:16] .

يقول ابن القيم: والرهبة الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه" والفرق بين الرغبة والرجاء أن الرجاء طمع والرغبة طلب فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه. والخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله. قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر:28]. فهو خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية**».

والخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه ومحارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

ومدح الله خوف المؤمنين في سورة (**المؤمنون**) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[57-61].

عن عائشة قالت قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾[المؤمنون:60] أهو الرجل يزني ويسرق

ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكـر أو لا يـا بنـت الـصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يقبل منه**».
(رواه أحمد).

قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا.

والخوف ليس مقصودا لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هو يحزنون.

وأول الخوف: الخوف من العقوبة، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة.

وأوسطه إشفاق علىٰ الوقت.. أي يحذر علىٰ وقته أن يخالطه ما يصرفه عن الحضور مع الله عز وجل. وعلىٰ القلب أن يزاحمه عارض من فترة أو شبهة أو شهوة، وكلها أسباب إعاقة لهذا الطائر لغرضه.. الجنة.

ونهايته إشفاق يصون سعيه عن العُجب الذي يفسد العمل كما يفسده الرياء.

وفي رمضان حينما يسبح الطائر الملون الجميل الرشيق في فضاء الزمن ويتلذذ بالصيام والقيام والصدقة والاعتكاف.. هو أيضا يحمل في جسده المنساب نوعا رقيقا من الخوف يتمشىٰ مع رقته الرمضانية.. وهو الإشفاق.. الذي قال عنه ابن القيم إنه خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلىٰ الخوف نسبة الرأفة إلىٰ الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها. وبدايته إشفاق علىٰ النفس أن تجمع إلىٰ العناد، أو أن تسرع وتذهب إلىٰ طريق الهوىٰ والعصيان ومعاندة العبودية، ثم هو إشفاق علىٰ العمل أن يصير إلىٰ الضياع.

ومن آيات الإشفاق: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء:28] .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[المعارج:27].

وهناك خوف في الدنيا يبدله الله أمنا لعباده المؤمنين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[النور:55].

الخوف كما في القرآن الكريم يكون من الله ومن مقام الله

ووعيد الله وعذاب الله والحشر إلىٰ الله، ومن الساعة والآخرة ويوم القيامة وشره وسُوءِ الْحِسَابِ وظلل النار.

والرجاء يكون لله ولرحمة الله ولقاء الله وأيام الله (ثوابه، أياديه ونعمه) والتجارة مع الله ورجاء اليوم الآخر. ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:5] . ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:21] .

أما جناح الرجاء فقد يلبس الناس جناحا مقلدا مزورا! بديلا له هو جناح (**التمني**).. وشتان بينهما، (**فالتمني**) يكون مع الكسل، (**والرجاء**) يكون معه بذل الجهد وحسن التوكل.

يقول ابن القيم: الرجاء ثلاثة أنواع، نوعان محمودان، ونوع مذموم.

الأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله علىٰ نور من الله فهو راج لثوابه.

الثاني: رجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تبارك وتعالىٰ وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل مُتمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل. فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال يحيىٰ بن معاذ: (**يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال، لأني أجدني أعتمد في الأعمال علىٰ الإخلاص، وكيف أصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف. وأجدني في الذنوب أعتمد علىٰ عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف؟**).

ومن شدة تكامل الجناجين، قال العلماء: كل راجٍ خائف من فوات مرجوّه. والخوف بلا رجاء يأس وقنوط.

فالخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف. فكل راج خائف وكل خائف راج.

وأول الرجاء رجاء يبعث العامل علىٰ الاجتهاد.. فإن من عرف قدر مطلوبه هان عليه ما يبذل فيه.. كحال من يرجو الأرباح العظيمة في سفره، ويقاسي مشاق السفر لأجلها. فكلما صورها لقلبه هانت عليه تلك المشاق والتذّ بها.

وأعلىٰ من هذا الرجاء رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الخالق الباعث علىٰ الاشتياق، المنغص للعيش، المزهد في الخلق.

قال تعالىٰ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:110].

وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزبدته وإليه شخصت أبصار المشتاقين، ولذلك سلاهم الله بإثبات أجل اللقاء. وضرب لهم أجلا يسَكّن نفوسهم ويطمئنها.

ما أعظم كرم الله وسعة رحمته.. حين يشعر بها الإنسان في رمضان.. وبُعَيد رمضان حينما يفرح بإكمال العدة فيكبر فرحا.

وتتجسد في ليلة القدر رحمات الله، ويكون المرء فيها أقرب للرجاء منه للخوف في هذا المقام.. **ولِمَ لا فإن الله:**

الفضل أحب إليه من العدل.

والعفو أحب إليه من الانتقام.

والمسامحة أحب إليه من الاستيفاء.

ورحمته سبحانه غلبت غضبه .. سبحانه من إله عظيم!

❀ ❀ ❀

الفهرس

❀ ❀ ❀